بيت ملايين السنين

رواية

أيمن إبراهيم عبد العاطى

obeikan.com

مؤسسة يسطرون للطباعة والنشر والتوزيع

رئيس مجلس الإدارة

عماد سالم

المدير العام

أحمد فؤاد الهادى

مدير الإنتاج

أحمد عبد الحليم

الطبعة الأولى
الكتاب : بيت ملايين السنين
المؤلف : أيمن إبراهيم عبد العاطى
تصنيف الكتاب : رواية
تصميم وإخراج : أحمد عبد الحليم
المقاس ١٤ × ٢٠
رقم الإيداع : ١٦٦٧٠ / ٢٠١٧
الترقيم الدولى : 978 - 977 - 776 - 474 - 2

العنوان : المكتبة والمطبعة : ٣ ش صفوت - محطة المطبعة شارع الملك فيصل - الجيزة
التليفون : ٠١٢٢٩٣٠٠٠٢٩ - ٠١١٥٧٧٦٠٠٥٢

Email : yastoron@gmail.com

موقعنا على الفيس بوك : مؤسسة يسطرون لطباعة وتوزيع الكتب

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

obeikan.com

١

الخريف والغروب معا ممتدان بتآلف غيومى متواصل بليل يتحسس طريقه بهدوء حذر، ينشر لونه الرمادى المقبض الذى يسبق سواده الفسيح. يشيع الخوف فى الأنحاء ويلقى الرعب فى قلوب بريئة، متخلخلة، منقبضة.

هواء بارد وسماء ملبدة بالغيوم وشجيرات صفراء الأوراق وبوم منكمش وصرصور حقل يصدر نغماته المنتظمة فتكاد تكون لاشىء.

وعلى المرأى وحش يضحك فتحمر عيونه الكثيره.

إن هذا الذى تنبعث منه شرارات النار فتثير نوافذه مهشمة الزجاج ومضات خاطفة كالبرق؛ مصنع فسيح مهجور؛ هنجر وسط الحقول, شىء رابض فى مكانه منذ أمد بدون داعٍ بعدما انقطع عنه العمال والعمل.

وأخيرا وفى موعد مختلف عن المألوف انطلق فيه العمل من جديد بأشرارالرجال هذه المرة، يتزعمهم شيطان مريد فى أبهى حلة إنه «سعيد الدقاق».

انهمك الرجال فى عملهم بشرهم وشرارتهم المنبعثة من معداتهم يواصلون أعمال لحام حديد بسيارة ضخمة يضعون فيها شيئًا غير معتاد، تنفيذًا لتدبير جديد من تدابير الشيطان الذى يديرهم،شيطان فى ملابس إنسان مهمته قبض الأرواح بدون ترك أثر, كم يتلقى من فيض الأموال جراء الأرواح التى يزهقها هذا الدقاق ولصالح مستفيدين من رجال مال وأعمال كما يطلقون على أنفسهم، فكم من عدو لهم يجب التخلص منه بطريقة نظيفة، أما هو فالمدبر والمنفذ ببراعة استحق عليها صيتا مكتوما حذرا فى هذا العالم الشرير بالغ القذارة والدمامة المغلف بالثراء والزهو والجمال.

أخيرا انتهوا وبدأوا إجراء تجربتهم أمام رئيسهم.

كانوا قد وضعوا مغناطيسا كهربائيا ضخما تم استيراده خصيصا من ألمانيا لهذه العملية باهظة التكلفة، أوصلوه فى مؤخرة سيارة نقل ضخمة ذات صندوق خلفى مغلق، وبمجرد أن أوصلوه بمصدرهم الكهربى، الذى كان عبارة عن مولد كبير

وضع خلف المغناطيس، سرت الموجات فى أقطابه لتجذب بقوة سيارة خردة قد أعدوها للتجربة لتلتصق بالصادم الحديدى المغنط المركب فى المؤخرة.

بعد أن شاهد الدقاق نجاح تجربته التفت إلى الخلف خالعا الوجه الحديدى الواقى من الشرر ليكشف عن وجهه الحقيقى الذى لم يكن يختلف كثيرا عن الحديدى، وإن كان به بعض وسامة رغم عينيه الميتتين. وضع فى فمه سيجارة الكوبى ثم أشعله وامتص منه بعض الرحيق. اتسعت ابتسامته من خلال غبار الدخان لتكشف عن أسنانه الصفراء، مصرحا بصوت يريده أن يبدو فلسفيا: «ما أنا إلا يد القدر التى تنفذ ما كتبه الله على العباد»، ويريد أن يزيد فى التجويد فتغلب عليه عشوائيته قائلا كلماته التى يرددها فى كل حين مع اهتزازات خفيفة من رأسه حين يلقى تلك الكلمات بالذات: «كل واحد يتعلق من عرقوبه».

كان سعيد الدقاق ملحدا بتصرف. ملحدا لا ينفك عن ذكر الله فى أحاديثه، ولكنه لا يذكره كما يذكره الذاكرون، بل يذكره كما يغفل عن ذكره الغافلون.

٢

انزلقت السيارة الكروفت السوداء على الأسفلت الأملس اللامع ذى الخطوط البيضاء التى لاتظهر الا منها تحت أضواء السيارات الفارهة التى تتخطاه بسرعة كبيرة طريق مفروش بسجادة سوداء منبسطة بعناية يصدها من اليمين جبل عتاقة الشاهق، ومن اليسار البحر فى هوة تنخفض وترتفع أحيانا.

قائد سيارة ماهر يقودها على هذا الطريق الموحش، إنه عابد باشا البرعى يركز عابد فى الطريق ويستمتع بالقيادة فى طريقه إلى مدينة الغردقة لحضور مؤتمر الشركات الوكيلة كريست برفكت والتى اقتنص وكالتها من أفواه السباع بمجهوده واتصالاته وحنكته الإدارية العالية. دون أن يدرى ما دبره له هؤلاء السباع، تخطى عدة سيارات فلم ينتبه إلى السيارات الثلاثة الأخيرة التى تخطاها والتى سمحت له

بالعبور منها بقصد واضح، فلم تكن تلك السيارات إلا سيارات الإسكيب التى سوف تحجز خلفها السيارات الماضية على الطريق لتفسح له المجال للالتقاء بالسيارة الهدف «النقل الضخمة» التى تلقت لتوها اتصالا هاتفيا من السيارة التى تتبعه دون محاولة تخطيه لتحدد مكانه بالضبط، وأخيرا عند النقطة المتفق عليها الكيلو ٢١٣ ظهرت السيارة النقل بصادمها الخلفى الجاهز للمغنطة، وبمجرد أن حاول عابد تخطيها انحرفت بشدة نحوه لتجعله خلفها بالضبط، وعند ذلك تم توصيل التيار الكهربائى لتلتصق سيارته بالاكصدام المغنط القوى، وتكتسب سرعة السيارة الكبيرة، رغم محاولاته كبحها بالكابح دون جدوى، لقد وقع الصيد فى الفخ.

ما إن التصقت سيارته بالسيارة النقل حتى زادت من سرعتها عند دخول المنحنى الرابض بالتواء قاس كثعبان ملتف حول الجبل الشاهق وعند منتصفه تقريبا تم تحرير المغناطيس لتقوده سيارته بمؤخرتها وبانحراف شديد فى اتجاه البحر رغم محاولاته اليائسة فى السيطرة عليها إلا أنها تدحرجت بقوة إلى الهوة لتصطدم بالصخور المدببة تدبيبا مسنونا بفعل عوامل التعرية على مدى مئات السنون قبل أن تستقر فى قاع

البحـر ويمـوت فـى دقائـق عابـد باشـا فـى حـادث مـؤلم قـدرى كمـا يصـوره سـعيد الدقـاق للعـالم بحرفيـة شـديدة.

وكأن كلماتـه التـى رددهـا فـى معملـه عـادت تحـوم و تـتردد فـوق جثـة ضحيتـه: «مـا أنـا إلا يـد القـدر تنفـذ مـا كتبـه علـى العبـاد».

obeikan.com

٣

لم يعد يستخدم هذا الخط، لقد تم تحويل المسار، لم تعد عربات المترو المكدسة بالناس تتراكم أمام هذه المحطة العتيقة باللونين المميزين لحى مصر الجديدة الأصفر واللبنى.

فلم يعد القطار يأتى ولكن المحطة مازالت قابعة كما هى. لم يتم التخلص منها، إنها صورة مكررة من جميع محطات مترو مصر الجديدة: الدكة الخشبية الزرقاء ذات الألواح المتراصة والتاندة التى تحمل على أحد جانبيها إعلاناً قديما عن معجون أسنان ماعاد ينتج الآن.

بالصدفة تظلل هذه المحطة المهجورة شجرة وارفة تمنع عنها حرارة الشمس مما يجعلها ملاذا لبعض العجزة والمسنين والمتعبين، يستريحون عليها قليلا قبل أن يستأنفوا مسيرهم، أو لعاشقين كلت أقدامهما من السير فجلسوا إليها لبعض الوقت.

وهـؤلاء هـم أكثـر روادهـا فمـا إن يجلسـوا عليهـا هنيهـة حتـى يكتشـفوا الهـدوء الـذى يغلفهـا فتطـول الاسـتراحة أكثـر وأكثـر خاصـة وأن الشـارع نفسـه فـى كثـير مـن الأحيـان يخلـو مـن المـارة والسـيارات، فيصبـح المـكان خاليـا إلا مـن القضبـان الممتـدة بصلابـة علـى الأرض اللامعـة يحرسـها كشـك فـارغ كان مخصصـا للعاملـين فـى المحطـة سـابقا...وماذا يريـد عاشـقان أكثـر مـن ذلـك؟!

جلسا منذ قليل يريحا قدميهما المتعبتين.

إنهمـا ليسـا عاشـقين ولكنهمـا زوجـان شـابان تعبـت أقدامهمـا مـن اللـف والـدوران علـى محـلات الملابـس بمصـر الجديـدة؛ فالزوجـة تريـد شـراء فسـتان بعينـه والـزوج يحـاول إقصاءهـا لغلـو الثمـن بعـرض فسـاتين أقـل سـعرا فـى فترينـات محـلات أخـرى، ولكنهـا تصـر علـى اختيارهـا وتتعلـل بفخامتـه، وتغريـه بشـرائه بـكل الوسـائل، هـى تعلـم يسـر حالـه وإن لم يكـن يسـر حالتـه مسـتمرا بـل متقلبـة الهـوى كحياتـه تمامـا.

لم يسـتمر أكمـل فـى عمـل أكثـر مـن أشـهر معـدودات رغـم تعليمـه الرفيـع بالمـدارس الأجنبيـة وتخرجـه مـن كليـه التجـارة الخارجيـة والـذى تلقـاه بدفـع متـوازن مـن والـده اللـواء المتقاعـد والـذى لم يـرزق سـواه، وخصوصـا بعـد فقدانـه لأمـه فـى سـن

مبكـرة، حـرص والـده حينهـا علـى محاولـة تعويضـه قبـل أن يتبعهـا بعـد زواج أكمـل بفـترة قصـيرة.

عمـل أكمـل محاسـبا فـى الجهـاز المركـزى للمحاسـبات لمـدة عـام ونصـف، ثـم تركـه وسـافر للعمـل بإحـدى الشـركات الكـبرى بالمملكـة العربيـة السـعودية بمرتـب عـال جـدا، وأصبـح لـه مكانـة عاليـة بالشـركة وكان أيضًـا يمـارس رياضـة الاسـكواش مـع الأمـير صاحـب الشـركة، وقـد جعلـه هـذا مـن المقربـين إلى مجلـس الإدارة ممـا أثـار غـيره بعـض زملائـه واعجـاب الاخريـن بالمكانـه التـى حظـى بهـا ثـم قـام باجـازه لزيـارة مصـر ولم يعـد إلى الشـركة مـره أخـرى واسـتمر يتنقـل للعمـل بـين بعـض الشـركات الأجنبيـة بمصـر لفـترات قصـيرة.

حـرص أكمـل كل الحـرص علـى الارتبـاط بفتـاة جميلـه كان يبادلهـا العشـق ولم يجـد اعـتراض مـن والـده عليهـا بـل ترحيبـا كبـيرا، وقـد تـرك لـه ايـراد ثابـت مـن عقـار يملكـه فـى ضاحيـه المعـادى دون إمكانيـة التصـرف فيـه بالبيـع لمـدة عشـرين عامـا لعلمـه جيـدا أن ولـده عديـم الاكـتراث وقليـل الأهليـة ممـا يضعـف لديـه فـرص المحافظـة علـى ممتلكاتـه.

كان أكمل متقلب الهوى لا يؤمن بشيء لوقت طويل، يكره التعب والإرهاق لا يتعب نفسه فى شيء، ومع ذلك تحبه زوجته لبنى حبا كبيرا، ينعم معها بحياة سعيدة رغم عدم اكتراثه بالحرص على العمل واعتماده على الدخل الذى تركه له والده والذى لا يلبى طلباته فى كثير من الأحيان، ظل أكمل يعيش مع زوجته لبنى فى شقة والده التى قطن بها قبل زواجه فى حى منيل الروضة.

ألحت، وأصرت، وانصاع لها فالاحتفال بعيد زواجهما يستحق ذلك وأكثر، تريد الفستان وتريد أيضًا تسريحة شعر بعينها، صدعت رأسه بها وهى تحدثه عنها الشعر المدرج الذى ظهرت به الممثله الأمريكية فرح فاوست فى فيلم بيتوين تو ويمن فى حقبة الثمانينات.

«إن الإنسان يختار قدره بعناية فائقة».

لبنى لا تعلم انها باختيارها هذا الفستان بالذات مع قصة الشعر هذه ستكون سببا فى تغيير حياتها، ستتسبب فى تعرض زوجها لأبشع أنواع العذاب، هو أيضًا لم يكن يعلم، ومن يعلم؟! وهل يعلم ان انصياعه وموافقته على طلباتها سيكون سببا لقلب حياته، المصادفة كيف نتجاهلها.. هى

واقع لابد من الاعتراف به، إنها تقع لا محالة «المصادفة»، كم مصادفة حدثت لك فى حياتك؟! وكم مصادفة لم تدركها أو تنتبه إليها، قد تحدث مصادفات فى التواريخ، إنه واقع، مصادفات فى الأرقام واقع، ومصادفات الحوادث واقع أيضًا، هل يمكن أن يفعل شخصان لايعرفان بعضهما نفس الشىء فى نفس الوقت؟ كم شخصا حول العالم فى اعتقادك يشعل سيجارته فى نفس اللحظة التى تشعل فيها انت سيجارتك؟ رقم قد يكون كبيرا، حسنا كم شخصا فى اعتقادك سيشعل نفس نوع السيجارة؟ بالطبع سيقل الرقم، حسنا كم شخصا سيشعل نفس نوع السجائر وأمامه نفس كوب شاى الذى أمامك؟ سيقل الرقم أكثر، حسنا إذا كان نفس نوع السجائر ونفس كوب الشاى واسمه كاسمك كم سيكون الرقم؟ هذا قد لا يحدث، وقد يحدث، وإن حدث تكون المصادفة.

إن المصادفة واقع لابد من الاعتراف به كما قلت، وهذا ما حدث صدفة، وقعت فاوقعت، وحدثت فأحدثت وتداعت الأحداث، والسؤال: هل لو كان الاختيار بيده ترى ماذا كان سيختار؟! حسنا سنعرف لاحقا. قررا أو قررت ووافقها على الاحتفال فى فندق الفور سيزون.

٤

استعدت القاعة الكبرى الغربية وهى إحدى القاعتين الرئيستين بفندق الفور سيزون المطل على النهر الخالد لاستقبال الاجتماع المرتقب لوكلاء شركة كتر بيلر الأمريكية ذات الأفرع والوكلاء فى جميع أنحاء العالم، والتى يرأس أهمها فى مصر المهندس بهجت غازى رجل الأعمال المرموق، وزوج الدكتورة شاهيناز البقرى مديرة برنامج العلوم الاجتماعية والإنسانية بمكتب اليونسكو بالقاهرة، والحاصلة مؤخرا على جائزة الدولة التشجيعية لأعمالها وأياديها البيضاء فى المجالات الإنسانية، وسليلة بيوتات الوزراء؛ فوالدها وزير البيئة الأسبق وعمها الوزير الحالى لشئون الدولة.

كانت شاهيناز قد سافرت لتوها لحضور الدورة الأولى للمكتب الرئيسى بعد انتخاب رئيسه الجديد، رافقها زوجها بهجت إلى المطار منذ ساعات وودعها وداعا حارا

التصق فى ذاكرته قبل أن يغادر إلى الفندق مباشرة؛ فقد كانت ترتدى خلاله فستانها الأزرق الأنيق وتزين رأسها بتسريحة فرح فاوست، دائما تحرص أن تكون فى قمه التأنق رغم عزمها عدم حضور الاجتماع بهذا اللوك.

عادت السيارة اللاكزس يقودها سالم السائق الخاص بالمهندس بهجت، وبرفقته حارسه الشخصى «زكريا المهرجان» بعد أن أعطى تعليماته للحارس الآخر «خاطر بلابل» أن يسبقه إلى الفندق لانتظاره مع باقى طقم السكرتارية.

كان اللوبى بالفندق الشهير يضج بأناس من مختلف الجنسيات، على خلفية الاجتماع المذمع، أغلبهم كانوا نزلاء بالفندق، جاءوا من أربع قارات مختلفة، انتشرت بينهم اجتماعات جانبية، قبل الدخول إلى القاعة الرئيسية، لتعقد بعض الاتفاقات السرية والتربيطات الجانبية والأعمال غير المعلنة والتى لن يشملها الاجتماع بالنظر. عندما وصل المهندس بهجت لمح مجموعة السكرتارية الخاصة به ومعهم خاطر حارسه الشخصى الآخر فى انتظاره، توجه إلى أصدقائه ومنافسيه من وكلاء الشركات المختلفة، يتبادلون التحيات والابتسامات المزيفة ومعهم أطقم مكاتبهم الذين يبغض

بعضهم، ويجند بعضهم للتجسس لحسابه، وإمداده بالمعلومات التى تساعده فى الوقوف دائما فى المقدمة، حرب المعلومات فى مجال عمله لا تقل عن حرب الأعمال نفسها، وإن كانت تتفوق عليها فى بعض الأحيان.

ازدادت ابتسامته اتساعا وهو يلتفت إلى سلوى سكرتيرته الخاصة ويشير إليها بأصبعه فتقترب منه بحرص حاملة حافظة الأوراق التى لا تفارقها واللاب توب الصغير تحت إبطها لتستطلع ما يصبو إليه رئيسها، غالبا أوراق ما أو معلومة تغمره بها فى لحظات، إلا أن ابتسامته فترت فجأة، وهو يشير إلى سلوى ليغير معنى الإشارة بأن تتوقف عن الاقتراب، فتوقفت فى الحال وسار هو ناحية المكان الذى ثبت إليه نظره خطوات، وقد اطفأت الابتسامة شبه المزيفة من وجهه الوسيم، لقد رأى للتو زوجته شاهيناز البقرى برفقة شاب تغادر النايت كلوب، إنها هى زوجته شاهيناز التى تركها منذ ساعات فى مطار القاهرة بفستانها الأزرق المميز وتسريحة شعرها التى اختارتها بعناية. لايمكن مستحيل؟! كاد عقله أن ينفجر، ضخت الدماء فى عروق وجهه بغزارة وقفز الادرينالين بجسده محاولا القيام بدوره، وهو يبتعد عن

مكان محدثيه ليقترب من فجيعته محاولا اللحاق بهما، كاد أن يهرول جريا لولا انتباهه فى آخر لحظة لموقفه، وملاحظة بعض العيون له، تماسك بقدر ما استطاع وتسمر فى مكانه.

أومأ إلى خاطر الذى وافاه على الفور اشار إليهما قائلا شبه هامس :

— اتبعهما من فورك واتنى بخبره، اسمه، عنوان مسكنه، لا تحضر خالى الوفاض والا، واصحب معك سالم بالسيارة.

— من ؟ أهذا الرجل الذى يرتدى البذة السوداء؟!

— نعم

— هيا تحرك قبل أن يغيب عن ناظرك.

انطلق خاطر فى اتجاه باب الفندق وراء بغيته بحرص وسرعة محسوبة، التفت بهجت عائدا بنظره وبعض خطواته إلى صحبته التى هجرها منذ دقيقتين فلم يجد أحدا.

الأرض ابتلعتهم جميعا، فى لحظة من الزمن اصبح يقف منفردا فى بهو الفندق الكبير، وكأن أحدا يراقبه من أعلى

ويشاهده، وقد أصبح وحيدا بعد انسحاب آخر الفلول الذين ابتلعتهم الأبواب والدهاليز والمصاعد، هل تم النداء على الطائرة الآن فهرول إليها الركاب هل اصبح فى صالة المطار؟

فقد تركيزه فجأة لبرهة: أين هو فى الفندق أم المطار؟! أدركته سلوى لتنتشله من حافة الجنون:

— هيا الاجتماع على وشك البدء.

— آه، نعم الاجتماع تبا للجميع.

قالها وهو يجمع شتات نفسه المبعثرة ويحمل جسده على أقدام شبه مرتعشة إلى القاعة ويرتمى على كرسيه، وهو يتوعد فى نفسه من هزه هذه الهزة العنيفة حتى لو كانت حبيبته شاهيناز.

مازال غير مصدق أن شاهيناز خدعته هذه الخدعة الكبيرة، لم يستوعب ما حدث كيف؟ كيف؟ ومع من؟ أنا بهجت الغازى الذى لم يهزمه إنسان قط! يا ويلك يا شاهيناز! و رفيقها هذا ويله منى، الموت الموت! لا لا الموت لا يشفى غليلا، الموت لا يكفى، هل هناك انتقام يشفى غليلى أقوى من الموت؟!

الموت راحة وهو لا يريد لهذا الرجل الراحة، بل سيريه مالم يره، سيعذبه عذابا شديدا، عذابا شديدا؟! انتفض عند ذلك واقفا من على كرسيه، مما لفت انتباه المجتمعين فجلس فى هدوء بعدما تظاهر بأنه كان يخرج شيئا من جيب بنطلونه.

تشوش عقله إلى حد ما، وأخذت بعض الذكريات تقفز إلى ذاكرته من حين إلى آخر، صور متناثرة واضحة أحيانا ومشوشة أحيانا، وجه أبيه الذى نسخ منه وجهه، ووجه أمه الذى لم يقتبس منه إلا لون عينيها، تنقصه أيضًا هذه الذكريات التى تهاجمه من حين إلى آخر ليغوص حتى أذنيه فى عالمه الذى ابتدعه، وغرس نفسه فيه غرسا، والذى لا تستهويه فيه الموبقات، فهو لايشرب الخمر إلا فى المجاملات والحفلات، كذلك لا تستهويه النساء كثيرا، لم يخن زوجته شاهيناز يوما رغم إعجاب الكثيرات به، إنهن يعجبن بوسامته وأناقته وثرائه الفاحش، وعدم اكتراثه بهن، يلهب مشاعرهن ويثير جنونهن، يبدو فى كثير من الأحيان إنسانا فاضلا رغم ذنوبه الكثيرة، كم دمر من حيوات أناس كثيرين, ووجهة نظره أنهم مستحقون، يشبه سعيد الدقاق غير أنه لم يتخذها مهنة، يعتبر أعداءه هم أعداء الخير وأعداء الحق، إنه هو

المحق، ومن يخالفه للموت مستحق، ومن يخطىء وجب عليه العقاب، أما نوع العقاب فهو الذى يحدده دون زيادة أو نقصان، لم يندم يوما على تدمير حياه إنسان، فهو ليس ظالما لأحد ولكن هم الذين كانوا لأنفسهم ظالمين.

بهجت غازى ابن تاجر تحف بسيط، كون ثروة صغيرة من خلال بعض الصفقات المشبوهة، أما أمه فكانت راقصة يونانية مع فرقة متجولة، كانت تدعى ريزيتا، تعرفت على أبيه فى الإسكندرية وتزوجته لفترة قصيرة قبل أن تهجره وتترك له بهجت طفلا صغيرا لم يكمل بعد عامه الثانى.

أورثه أبوه بعد موته الثروة الصغيره التى كونها، فقام بهجت بتنميتها بمجموعة صفقات سريعة لم تلبث أن توسعت، ولم يؤثر هجر أمه له هو أو لأبيه فى تكوين عقدة له، بل اعتبر ما فعلته تصرفا فرديا يستوجب محاسبتها هى فقط.

وبعد أن أصبح له اسم فى عالم الأعمال وصاحب ثروة كبيرة بحث عنها ليذيقها بعض العذاب الذى تستحقه قصاصا مما لاقاه من دونها، فتعمد أن يغدق عليها المال ثم يحرمها منه، يسكنها فى القصور، ثم يلقى بها فى بيوت قذرة متعللا لها

بضائقة مالية يمر بها، حتى أدركت قبل موتها أنه يتعمد ذلك انتقاما منها، فماتت معذبة بانتقام فلذة كبدها الذى لم يرحم ضعفها ومرضها وشيخوختها وقلة حيلتها.

ماتت ودفنت بمدافن الفقراء بقرية متاخمة لمدينة بيرايوس اليونانية، ولم يسعَ لمعرفة مكان مدفنها بعدما علم برحيلها.

obeikan.com

٥

بأحد الكافيهات على حافة جبل المقطم كان يجلس بهجت غازى مع شبيهه سعيد الدقاق، والذى لم يكن يشبهه فى الشكل نهائيا، فى لقاء أول بينهما دبره له اللواء صالح أحد رجاله المسئولين عن الأمن بإحدى شركاته، بعدما كلفه بهجت بتجميع باقى المعلومات التى أتاه بها خاطر بلابل باسم وعنوان المأسوف عليه أكمل حسين الريس، ١٥ ش شجرة المندورة بالمنيل.

قدم له اللواء صالح ملفا بعد يومين يحوى صورا لأكمل وهو يسير بالشارع، وهو داخل سيارته، ومعلومات عن سنه وحالته الاجتماعية، وبعض الوظائف التى التحق بها:

– لقد سمعت عنك الكثير ولكنى لم أتعامل معك قبلا.

– أنا دائما فى الخدمة بهجت باشا، ويكفى حديث اللواء

صالح عن حضرتك.

– اسمع يا سعيد بدون مقدمات أو مجاملات هناك رجل أريدك أن تأتى إلى به.

ضحك سعيد ضحكة مجلجلة أثارت استياء بهجت قبل أن يتحدث قائلا:

– هذا ليس اختصاصى يا بهجت باشا طلبك هذا يفعله أحد صبيانى. إن مهماتى أكبر من ذلك وأجل.

– اعلم هذا ولكن مهمتك ليست بالهينة كما تظن.

ثم استرسل بهجت بكبر واضح:

– وأما إن كانت ليست اختصاصك فلتجعلها كذلك إذن.

انتبه سعيد إلى مكانة محدثه فبادره بضحكته وسأله بإجلال:

– كيف.

– أريدك أن تاتى إلى به فى الجبل الغربى بسوهاج.

أجابه سعيد بحرص:

obeikan.com

– مازالت مهمة هينة سعادتك.

– يبدو لك هذا، ولكنها بالنسبة لى مهمة كبيرة، فأنا لم اعتد استخدام العنف قبلا بهذه الصورة، كما أن هناك مهمة أصعب سأحددها لك لاحقا.

– أنا فى خدمة سعادتك ولكنى أريد معلومات كافية.

– جميع المعلومات لدى اللواء صالح.

– ومتى تريد التنفيذ؟

– غدا سأنتظرك عند مدخل مدينة سوهاج وتتبعنى إلى حيث مكان التسليم لأنك لن تعرف المكان بمفردك.

– علم وينفذ بهجت باشا، ولكن هناك ملاحظات أريد من سعادتك أن تنتبه إليها، أنا لا أدير عملياتى بشراكة، ولا أسمح لأحد بإكمال عملياتى، فأنا أتولى مهماتى من الألف إلى الياء، فقط أخبرنى ماذا تريد وأنا أنفذ.

– هذه المرة يا سعيد لن تلتزم بقواعدك.

obeikan.com

– عدم التزامى بقواعدى يعرضنى لمخاطر جمة، وأنا حريص كل الحرص على عملياتى ورجالى، نجاحها، وسريتها.

أما عن رجالى، فإنهم نوع لن تصادفه فى حياتك، إنهم آلات ينفذون أومرى، ولا يكادون يتذكرون الأحداث إلا حين أطلب أنا استدعاءها لأذكرهم بشىء أو موقف مشابه، لا يتحدثون حتى مع بعضهم البعض، رجال ربيتهم على يدى واحسنت اختيارهم، وإن كنت لا أفضل منهم ذا الخلفية العسكرية إلا فى أضيق الحدود رغم احتياجى أحيانا إليهم، من يكن من رجال سعيد الدقاق لا ينفصل عنه إلا بالموت، أسرارنا عسكرية، إن أخطأ أحدهم ونبس بكلمة ليس لها أهمية يكون الموت جزاؤه، لايستطيعون عمل أى شىء بدونى، هم كما أخبرتك آلات تنفذ ما يملى عليهم، وجعلهم هكذا ليس بالأمر الهين، حتى أننى لو مت سيموت هؤلاء الرجال جوعا، بدونى سيصبحون مشردين كالكلاب الضالة التى كانت تعيش فى رغد ثم مات صاحبها, لقد قلت لك بهجت باشا انت مازلت لاتعرف سعيد الدقاق، فقط عليك أن تحلم بما تريد وأنا علىَّ تحقيق حلمك، ما عليك إلا تسديد ثمن الحلم، وأنت تعرف كلفة الأحلام.

– ما أعرفه أن الأحلام مجانا يا سعيد.

– هذا صحيح ولكن تحقيقها له ثمن باهظ جدا.

– أوافقك فى هذا...

قالها وسبح فى خياله وتذكر أحلامه التى كلفه تحقيقها نفسه التى تفلتت من بين أصابعه.

بعدما توقف حديث الشر بينهما التفت بهجت إلى الأضواء البعيدة من فوق الهضبة الشاهقة، وتذكر ديلوروسينى ذلك العالم الإيطالى الذى استعان به أثناء شراكته مع شركة بوليت كرينز الكندية للتنقيب عن المعادن، يتذكر ذلك الرجل الداهية روسينى الذى كلفه مالا طائلا فى التنقيب داخل منجم الجبل الغربى، وظل يستنزفه طيلة سبعة عشر شهرا فى أعمال التنقيب داخل المنجم، ثم أخبره فى النهاية أن المنجم خال، ولن يجدى استمرار البحث فيه، بعد ذلك قيل إنه عاد إلى بلده خالى الوفاض بعدما أغلق بهجت المنجم وتكبد خسارة تقدر بحوالى ثلاثة ملايين جنيه، عاد من ذكرياته مستردا وجه سعيد الدقاق ذى العينين الميتتين وفراغ شاهق، وليل طويل، وأضواء سيارت سحيقة تبزغ وتطير أسفل الهضبة الشاهقة.

٦

(سوهاج الجبل الغربى الساعة ٥٥ : ٤مساء)

تم التسليم فى الموعد المحدد بعدما تبع سعيد الدقاق سيارة بهجت عند مدخل مدينة سوهاج إلى أن وصلوا إلى المدقات الوعرة ذات الالتواءات القاسية الصاعدة إلى أعلى، والعالقة بالجبل حتى توقف بهجت أخيرا بسيارته أمام باب منجم قديم مغلق بأخشاب متأكلة متقاطعة بعشوائية.

كان أكمل داخل حقيبة السيارة ينتبه قليلا ثم ما يلبث أن يغيب عن الوعى مرة أخرى، كان فى كل مرة ينتبه انتباها غير كامل فيظن نفسه فى حلم مرعب، اهتزازات السيارة مؤلم لجسده المسجى داخل حقيبتها مكوم مكبل اليدين والقدمين وعلى فمه شريط لاصق، من المؤكد أنه حلم، من أثر أفلام ألاكشن التى كان يسرف فى مشاهدتها، الاهتزازات القاتلة

توقظه ثم ما يلبث أن يغوص فى الحلم مرة أخرى، هل من الممكن إكمال الحلم بعد الاستيقاظ؟

إنه ليس حلما، هذا ما تأكد منه قبل أن يغيب عن الوعى هذه المرة.

أخيرا توقفت السيارة وتوقف كل شىء، أما الحلم فمازال يسير فى طريقه بلا رحمة، فمازال مكوما ومكبلا كما هو، تأتى إلى مسامعه أصوات أبواب سيارات تفتح وتغلق بوضوح، ثم أخيرا تم فتح غطاء الحقيبة لتغمر عينيه أضواء يتمكن بصعوبة بعدها أن يشاهد وجوه رجال بلا رقاب يحملونه بعنف ويلقون به على الأرض أمام بهجت غازى الذى أطال النظر إليه وأكمل غير مستوعب شيئا يتساءل فى نفسه: ترى من يكون هؤلاء؟! ولماذا جىء به إلى هنا؟! إن أقرب ما يتبادر إلى ذهنه أن هناك خطأ ما قد حدث، ربما يقصد هؤلاء الأشرار شخصا آخر غيره، فهو ليس له عداوة مع أحد، و إن كان فلا تصل عداوته إلى هذه الدرجة، مازالت عيون بهجت مثبتة عليه تتفحصه، فلم يملك ألا أن يبتسم ابتسامته التى تفقد أعداءه لذة الانتصار أو الشعور به فى لحظات الهزيمة القليلة التى تصادفه، بعدها لم يشعر بشىء، واظلمت الدنيا

وغاب عن الوعى مرة أخرى بعدما تلقى ضربة على رأسه.

خرجوا أخيرا من داخل المنجم، عدا أكمل الذى تركوه بالداخل، خرج بهجت غازى وسعيد الدقاق ورجاله الثلاثة الذين كانوا بصحبته ينفضون أيديهم وثيابهم من أثر الأتربة العالقة به، أشار سعيد لرجاله أن يستقلوا سيارته ويتبعونهما وركب هو بجوار بهجت فى سيارته وتحركت السيارتان هابطتين من الجبل الوعر ذى الطرقات الملتوية. أخرج بهجت علبة مناديل مبللة بالعطر من صندوق القفازات، تناول بعضها وناول العلبة سعيدا فأخرج منها بعض المناديل المعطرة وبدأ يمسح وجهه وشعره وهو يقول لبهجت: اعترف لك أننى لم أر مثل ما فعلته من قبل، هذه الميتة لم أصادفها، ولم تخطر ببالى، من أين أتتك هذه الفكرة الجهنمية؟ لقد أبهرت سعيد الدقاق يا بهجت بك، إنه شىء جديد علىَّ، أعترف لك بذلك بكل تواضع، ولكن أخبرنى من أين جئت بهذه الفكرة؟ ابتسم بهجت بأسى قائلا: لقد قرأتها فى أحد كتب هيتشكوك وأنا شاب صغير وعلقت فى ذاكرتى ولم أنسها أبدا.

سعيد : هتشكوكو أنا سمعت عنه لكنى لم اقرأ له ابدا، ستجعلنى أبدأ فى ذلك .

انت حر فى هذا، ولكن لمن كنت تقرأ قبلا؟

ابتسم سعيد قائلا:

– لا أحد..

فانفجر بهجت ضاحكا، استرسل سعيد قائلا :

– إنك حتى لم تخدشه.

– نعم تعمدت ذلك.

– ولكن لماذا تركت له أرغفة الخبز والماء؟

– لأننى لا أريده أن يموت فى ثلاثة أيام أو حتى عشرة، أريده أن يموت فى أطول وقت ممكن، أريده أن يشاهد جسده وهو يموت.

ثم استرسل:

– إن جئنا هنا بعد ستة أشهر ماذا سنجد برأيك؟

اعتدل سعيد فى مجلسه وهم ان يتنحنح كأنه سيلقى خطبة عصماء قائلا :

– اعلم يا بهجت بك أن سعيد الدقاق لا يعود إلى مكان نفذ فيه عملية مرة أخرى هذا مبدئى.

obeikan.com

بادره بهجت بشبه عصبية :

– ألم تسمعنى جيدا أنا اقول لك ماذا لو ؟ ولم اقل لك انك ستأتى بالفعل ! هذا فرض.

سعيد محاولا امتصاص غضب بهجت :

– افهم طبعا مقصدك ولكن أردت ان أخبرك بهذا حتى لا تنسى، فقد نسيت أنا ورجالى هذا المكان تماما ولن نعود إليه مهما حدث اؤكد لك فقط هذه المعلومة.

لم يرد عليه بهجت واستمر مثبتا نظره إلى الأمام أثناء قيادته للسيارة. سادت فترة قصيرة من الصمت فأردف سعيد قائلا :

– حسنا أعرف طبعا ماتقصده، نعم إذا نظرت إليه بعد ستة أشهر سأجد هيكلا عظميا مكبلا فى أصفاد حديدية داخل سجنه أليس هذا ما ترمى إليه؟

– بالضبط هذا الهيكل هو ما سنصير إليه.

لم يستوعب سعيد مقصده تماما فاسترسل:

– ماذا اقترف من ذنب حتى تجعله يموت ميتة كهذه؟

obeikan.com

– هذا ليس من شأنك.

– أعلم أعلم ولكنى لم أصادف هذا من قبل كما أخبرتك.. ثم أردف :

– هل انتهت العملية بهجت باشا ؟

هز بهجت رأسه موافقا ثم مد يده داخل جيب الجاكت وناوله شيكا فأشار سعيد بكلتا يديه :

– لا لا يا بهجت بك أنا لا أقبل الشيكات ألم يخبروك بذلك؟!

– أخبرونى نعم ولكن هذا الشيك لحامله.

– من فضلك أرسل حامله أنت إلى البنك واصرفه كما تشاء، وسأرسل إليك أحد رجالى بعدما تبلغنى ليأتى بالمال.

– حسنا كما تريد.

قبل ساعة، حمل رجال سعيد الدقاق أكمل حسين الريس إلى داخل المنجم بعد إزالة الأخشاب التى وضح أنها سبق فتحها من قبل، وتم إعادتها كما كانت مرة أخرى منذ وقت قريب، ساروا داخل المنجم فى ممر طويل يضيق فى بعض أجزائه

obeikan.com

ويتسع فى أجزاء أخرى حتى وصلوا أخيرا إلى باب حديدى مصمت، فتحه بهجت بمفاتحين مختلفين دلفوا منه إلى حجرة صخرية متسعة جدا تم فصل جزء صغير منها لايمثل أكثر من ثمن مساحتها أو أقل بقضبان حديدية متقاربة تم تجهيزه مسبقا ليتم إلقاء أكمل فى هذا الجزء المقتطع من هذه الحجرة، وتم تكبيله بإحكام فى سلسلة حديدية مثبتة فى الأرض من قدميه، وتم تكبيل يديه بأصفاد أخرى، ثم قام بهجت بوضع بعض أرغفة الخبز وزجاجة ماء بلاستيكية بجانبه، ثم خرجا خارج الباب ذى القضبان وتم إغلاقه بإحكام.

نظر سعيد إلى ممر آخر فى نهاية الحجرة يقود السائر إلى داخل المنجم فيبدو أن المنجم لم ينتهِ بعد هنا، أثاره الفضول فأطال إليه النظر فعاجله بهجت :

— إياك حتى أن تفكر.

— حسنا أنا لا أسير وراء فضولى أبدا، وأقنع تماما أن الفضول قاتل مستتر فاطمئن.

— عين العقل، أحب دائما العمل مع العقلاء.

— وأنا كذلك.

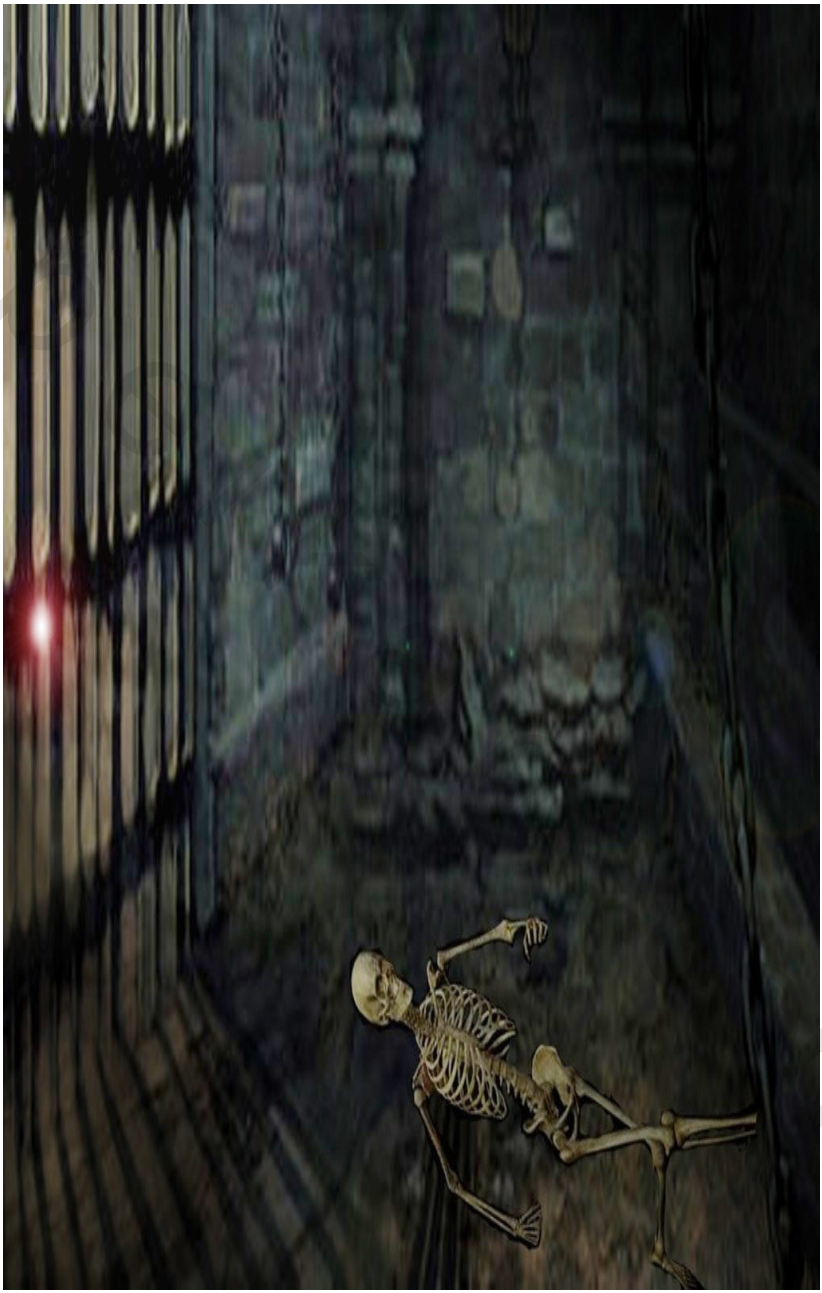

٧

بدأ أكمل يفيق، شعر ببرودة تسرى فى بدنه من أثر الرطوبة المتوطنة فى صخور الأرضية الملقى فوقها، اعتادت عيناه الظلام بصعوبة؛ فليس هناك ضوء سوى مشعل صغير معلق فى نهايه الحجرة الفسيحة خارج نطاق السجن الذى يرقد خلف قضبانه, شعلة تبدو خافتة معلقة على الحائط البعيد المواجه له، يراها من خلال القضبان الحديدية التى لا تطولها يداه؛ فقد قيد بإحكام. بدأ شيئا فشيئا يفسر الأشياء من حوله أرغفة الخبز التى ظن فى البداية أنها طفل صغير وضحت بعد اعتياد عينيه الرؤية فى الضوء الخافت، تبصر موقعه تماما، وتيقن أنه فى سجن لا مخرج منه، تحرك ببطء زاحفا على بطنه، وصل بصعوبة إلى زجاجة الماء تحسسها بحذر، حل الغطاء، سكب منه القليل، تشمم السائل وتذوقه بطرف لسانه، وبعد أن تأكد أنه ماء، تجرع بعض الجرعات ليبلل رضابه المتحجر.

زحف ثانيا إلى الوراء مرتكنا على الحائط يفكر فيما آل به إلى ذلك دون أن يجد إجابات، هل هذا حقيقى؟! هل هذا يحدث بالفعل؟! لم يدر كم مر من الوقت ساعتان أو ثلاث ساعات ارتشف خلالها جرعتين من الزجاجة ثم اكتشف انه يسرف فى ذلك فتوقف، أصبح الوقت يمر ببطء، أصبح الزمن كترس مسنون يجز رقبته مع كل ثانية تمر عليه ولايحدث شىء.

أين القوة التى كان يظن أنه يملكها؟! إنها فى الواقع قوة كاذبة خاطئة، أين الترفع والكبرياء اللذان كان ينعت بهما، كيف استسلم بهذه السهولة إلى مختطفيه؟! هل لظنه أنهم من رجال البوليس، أو هذا ماركن إليه كى يبرر عدم المقاومة، وتساءل: ماذا كان عليه أن يفعل؟! هل يترك حفنة من الرجال يقتادونه من منزله عنوة بمنتهى السهولة؟! ماهذا الهوان؟! وأى قوة تلك التى كان يحتمى بها، حتى لو كانوا من رجال البوليس، كما ظن، وهو أبعد مايكون عن الشبهة، كان عليه استطلاع الأمر منهم وطلب توضيح مقنع قبل الاستسلام التام، تكاد سلبيته فى أحايين كثيرة تنخر عظامه وهى من أشهر طبائعه.

إنه داخل صورة ثابتة، وهو الشىء الوحيد المتحرك داخلها، بدأ جسده يرتعش من البرد حتى تحول الارتعاش

إلى انتفاض، ولم يتمالك نفسه فأجهش فى البكاء، تذكر أنه لم يبكِ منذ أمد بعيد، فازداد بكاؤه، وانطلق صوت أوبرالى رفيع يصدر من خلال الجهاز الموضوع فوق المنضدة بجانب بهجت غازى وهو جالس أمام حمام السباحة بفيلته الفاخرة واضعا نظارته السوداء فوق عينيه فى الليل على غير المعتاد، ومازالت بذلته معفرة بأتربة الكهف الذى دفن فيه إنسان حى منذ ساعات قليلة، يرتشف فنجان شاى ببطء شديد وأعصاب هادئة، فما أن وطئت أقدامه حديقة فيلته منذ قليل، وبدلا من أن يدلف إلى الداخل جلس بجانب المذياع وأدار المؤشر وطلب من خادمه فنجان شاى ساخن ارتشفه مع صوت مغنية الأوبرا ايرما كابتشى التى لا يعرف اسمها، والتى انهمكت فى وصلة متصلة من الولولة الطويلة.

٨

(أشرف بنزيمة)

أطلق عليه هذا الاسم لعمله فترات طويلة فى محطات الوقود، بل وولعه بالعمل بها أصبح استنشاق البنزين بالنسبة له إدمانا لايستطيع البعد عنه، لو أن الأمر بيده لما غادر العمل قط، حتى فترات النوم كان يتمنى أن تكون هنا، هذا المكان بالنسبة له هو الجنة، ابتعاده عن استنشاق البنزين يجعل حالته المزاجية غير معتدلة. حتى بدأت تدور حوله الشكوك لإصراره على العمل والحرص على عدم مفارقته، فظن صاحب العمل أنه لص يسرق من أموال المحطة، لذلك تم طرده من أكثر من محطة وقود عمل بها، فقد كان أصحاب المحطات يبلغون بعضهم البعض عنه، فلم تعد تقبله محطة وقود مما اضطره للعمل كسائق تاكسى.

فى البداية كان يبحث عن محطات الوقود المزدحمة ليصطف بعض الدقائق بداخلها يشتم رائحة البنزين المنعش ولا يضع فى

الخـزان أكثـر مـن خمسـة لـترات ثـم يبحـث عـن محطـة أخـرى وهكـذا حتـى يمتلـىء الخـزان، وأخـيرا اسـتطاع بـالإرادة والتحـدى أن يتخلـص مـن هـذا الإدمـان ويسـتبدل بـدلا منـه المخـدرات بأنواعهـا المختلفـة، وكان يبغـض قيـادة سـيارته الأجـرة وسـط الزحـام، فاختـار العمـل ليـلا والراحـة نهـارا لخلـو الشـوارع فـى الليـل، واسـتطاعته القيـادة بسـرعة فائقـة وهـو فـى حالـه مزاجيـة عاليـة، وقـد أدمـج مـع المخـدرات تنـاول الكحـول أيضًـا، واتخـذ مـن عمـرو ماكجيفـر مثـلا أعلـى لـه يحـاول أن يقلـده فـى إتقانـه لقيـادة السـيارات بسـرعة عاليـة وعمـل الحـركات الصعبـة، كان يعيـش فـى عـالم خـاص بـه عـالم صنعـه بنفسـه، يطـير بالسـيارة فـلا يسـتطيع أن يلحـق بـه أحـد، ويصنـع الأعاجيـب دون أن ينتبـه أو يقـدر حجـم المخاطـر التـى يتعـرض لهـا، حتـى فقـد لقبـه القديـم أشـرف بنزيمـة واكتسـب لقبـا جديـدا، فأصبـح يطلـق عليـه «أشـرف المجنـون»، عمـل أشـرف علـى ورديـات بمطـار القاهـرة لنقـل العائديـن مـن الخـارج لينطلـق بهـم فـى طريـق المطـار الخـالى فـى هـذا الوقـت مـن الليـل بسـرعات عاليـة، يقضـى معظـم وقتـه الليلـى بالمطـار يرتشـف رشـفات طويلـة مـن الزجاجـة التـى يخبئهـا أسـفل مقعـد السـائق.

٩

أما أكمل فكى تصل إليه عليك أن تقطع مئات الأمتار داخل هذا الكهف الموحش، عليك أن تسير فى ممرات طويلة ترابية مظلمة حتى تصل إلى تلك الحجرة الصخرية المكبل فى أرضيتها خلف قضبان قاسية، ومن يظن أن فى هذا القبر السفلى ماأنفك يعيش إنسان، وكم مر عليه من الوقت هناك، وماذا حل به، هل مازال على قيد الحياة أم فارقها!

قد مر عليه الآن خمسة أيام أتى خلالها على ما تبقى من الخبز والماء، كان ينام وهو مستيقظ، ويستيقظ نائما ينتظر الموت بلا جدوى، وما جدوى الحياة بعدما أفرط كثيرا فيما أعطاه الله من نعم؟! قرر أن يطرح تساؤلاته التى لم ولن يجد لها إجابات جانبا، فلم يعد يكترث لما حل به ما حل، ولكن الواقع ان هذا ما وقع.

شعر بالجوع ثانيا لم يكن يداهمه شعور الجوع، هكذا من قبل حتى فى صيامه فى شهر رمضان، لم يكن يجوع مثل هذا الجوع المصحوب بهزال شديد، إنه لا يعلم شيئا عن الكفاح الذى يشقى به الناس من أجل لقمة العيش، فهو أبعد الناس عن ذلك، لم يتبقَ له إلا رغيف خبز وجرعة ماء فى الزجاجة، وبات ضوء الشعلة البعيد يخفت كما تخفت حياته.

شعلة وحيدة فى أقصى الأرض تضىء هذا القبر الفسيح الذى يرقد داخله تجعله يرى الأشياء من حوله بصعوبة، لقد استطاع سجانه أن يجعل له كل ما حوله عذابا، واستخدم فى ذلك حواسه هو، أغمض عينيه للحظات ليمضى ماهو فيه فلم يمضِ شىء، هل هو بالفعل حى يرزق، كما أريد له أن يعى ذلك؟ أم أنه بالفعل من زمرة الأموات فى قبور لايدرون ما بداخلها من يسيرون فوقها بخطوات، وقد كان بالأمس القريب أحدهم، نعم كان لا يدرك شيئًا، وهل يدرك الآن فى هذا المكان كامل الأشياء وحقيقتها، العمل الذى كان يهمله، الكسل الذى كان يسيطر عليه، الدقة، وهى الشىء الوحيد الذى يتقنه، كان بارعا فى التدقيق فى تفاصيل الأشياء وحقيقتها، ولكن وما الفائدة الآن وهو جثة فيها بعض حياة تنتظر الموت وتكابده؟ هل أراد سجانه هذا؟! هل أراد أن يريه

الموت بعينيه قبل أن يريحه به، ماهذا الانتقام؟! ماذا فعلت له وما وراء ذلك كله؟! لم يكن لى أعداء البتة، بل كنت أحرص دائما على ذلك، ولكن يبدو أنه أمر لاتحكم فيه ولو حرصت، وان لم يكن لك أعداء فسيخرجون لك من غياهب جب وجب لينقضوا عليك، أعداء غير مدركين، أعداء خلقوا خصيصا لك لتحارب دائما، هذا وإما مت كما انت هنا أو أنتظر الموت الذى أصبح أمنية غالية لا تدرك.

لم يكن يدرى النهار من الليل، وما جدوى النهار والليل وما جدوى الساعات؟! بل ماجدوى الزمن؟! إنه يموت ببطء شديد، أكمل الذى كان يخاف من خياله وتفزعه زفرات الحشرات يرقد الآن فى أسفل سافلين والكون من فوقه يدور وكأنه بات من الأموات، أن عليه الآن أن يختار بين الاستسلام للموت فى هدوء أو المقاومة ومحاولة النجاة، سخر من نفسه، فى أى نجاة يفكر؟! إنه فى قبر سحيق مكبل بالحديد، فجأة اشتعلت إرادته وقرر ألا يستسلم، سيقاوم حتى يموت وهو يقاوم، ويكفيه شرف المحاولة.

ولكن ماذا سيفعل؟ لقد فكر مرات أن يقوم بنشر الحديد بمنشار، وهو لا يملك منشارا، وإذا كان يملكه سيحتاج أياما

طويلة وقد فرغ لديه الطعام والشراب، ولم يتبقَ له إلا أيام قليلة قبل أن يموت، قد تكون ثلاثة أو خمسة على أقصى تقدير ونشر الحديد يستلزم مدة مماثلة، هذا اذا كان لديه منشار! وقد حاول حك الحديد فى بعضه فلم يحصل إلا على خدش بسيط، لم يستطع أن يعمقه أكثر، وإن استطاع سيحتاج أشهرا لحل قيود يد واحدة، فما باله بقيود قدميه، ثم بعد ذلك عليه اجتياز الباب ذى القضبان. إنه أمر مستحيل بكل المقاييس، ولكنه قرر أن يبدأ كما اتفق دون أن ينظر ويحسب النتائج، عليه أن يعمل وكفى ما ضاع من وقت، عليه أن يعمل بدأب.

آه العمل! لم يكن يحب العمل، لم يكن يحب أن يهين نفسه فيه، كم كان كسولا يترك العمل لمجرد الملل، وكم ترك من وظائف تمناها الكثيرون وحسدوه عليها، واكتشف أن آفته الكسل، لم يكتشفها بل كان يعرفها كان يضن بنفسه عن إرهاق جسده، كم كان أحمق رغم الفرص التى سنحت له فلم يستغلها الاستغلال الأمثل، كم كان يعيش فى رغد دون مجهود يذكر، قرر أن يبدأ فى عمل احتكاك قوى لأصفاد يديه، وبدأ فى محاولة تعميق الخدش الصغير، استغرق ساعات، أرهق وأصابه العطش وتملكه ولم يزد الخدش، فقد كان يتحسسه بأنامله، فلا يجد تغيرا، عاد يشجع نفسه:

– لا تيأس عليك الاستمرار.

واستمر فى محاولاته البائسة.

قد وفر له أبوه كل السبل، وذلل له كل العقبات، ومهد له الطرق الوعرة فتغلب به على كل المصاعب، أما الآن فلا يوجد معه أحد، إنه بمفرده فى غياهب الأرض دون أبيه، تولاه الندم عندما تذكر أباه، فلم يكن يوليه الاهتمام الكافي، كان شغله الشاغل نفسه فقط، بينما أبوه كان شغله الشاغل هو ابنه أكمل، لو عاد لأخبره بالكثير، وصحح ما اخطأ فيه بشأنه، لم يكن ينتبه حتى لوجوده وكأن وجوده فقط مرهون بالعمل على إراحته، وحمل أثقال الدنيا ومتاعبها عنه، ولشد ماكان يؤلمه حين كان يمرض أبوه، إنه كان يقوم على عيادته بمضض، وفى بعض الأحيان يبدى عدم الرضا، تأسف على ذلك وعلى أشياء أخرى كثيرة، كم من حماقات ارتكبها تقفز الآن إلى ذهنه وتعود إليه تخرج له لسانها قائلة: ها انت تموت وانت على قيد الحياة، وعادت عيناه تدمعان، وكان قد اعتاد البكاء والنحيب منذ سكن هذا القبر.

ولكنه انتفض هذه المرة ومسح عبراته وضرب أصفاده فى صخرة بارزة فى الحائط كانت تؤلم ظهره كلما استند إليها،

ولكن حدث مالم يتوقعه، فوجىء بانكسار القيد، لقد خرج اللسان الذى كان يمسك بقفل الإغلال فانفتح القيد، لم يصدق نفسه لقد أصبحت يده اليمنى حرة ولاح له الأمل من جديد، الأمل الله، إنها كلمة جميلة، لم يكن يدرك معنى وجمال هذه الكلمة من قبل، ولم يسعد مثل هذه السعادة من قبل، إن ما حدث هو نتيجة، نعم نتيجة عمل نعم لقد كافأه الله بعدما قرر العمل، هذا ماتيقن منه، وتيقن أيضًا أن الله معه، كم قصر فى عبادته! ولكن الله كريم، ولا ينسى المظلومين وبدأ الايمان يزداد فى قلبه وينمو.

تذكر دعاء والده الذى كان يردده دائما: «ربى إن قصرت فى عبادتك فاغفر لى وإن غفلت عنك بمفاتن الدنيا فردنى إليك ردا جميلا «. ما أحلى الإيمان الممزوج بالأمل، شعور لم يألفه من قبل وسعادة لم يصادفها رغم حياته السهلة، بدأت الأشياء تتضح له، وأصبحت عيناه ترى بوضوح أكثر، إنه فى طريقه إلى النجاة، ولكن للأسف خاب ظنه فى ذلك، فقد حاول حل قيود يده اليسرى بنفس الطريقه فلم تفلح، ضربها أكثر من مرة وبقوة أكثر فى نفس الصخرة، ولكن ما حدث فى الأولى لم يتكرر فى الثانية، ولم يستجب القيد اللعين، زفر أنفاسا ملتهبة، الصبر حصن متين، نعم الصبر، ولكن علام يصبر

على عقاب جراء ذنب لم يقترفه! أيقن أنه اختبار من الله، كان يستغنى عن إرهاق جسده بحسن عقله، والآن عمل العقل بمفرده، لن يفلح بل يجب إرهاق الجسد أيضًا، وعليه الصبر على الظلم وعلى الإرهاق وعاد إلى العمل من جديد، متلمسا سبيله فى صبر وأناة، ورائده أمل الغريق فى النجاة، فإن تولاه القنوط فلن يبقى أمامه إلا الموت، ولهذا ازداد صبرا، وأتقن العمل أى إتقان، والصبر هو حصنه المتين فعليه التحصن به.

فى خضم عمله المرير لمح زجاجة الماء تقف قائمة رغم انحسار الماء بداخلها فالتقفها وتجرع ما بقى منها من قطرات حتى أتى عليها ثم ألقاها جانبا، وعاد إلى عمله الدؤوب تغمره سعادة لا يجد لها مبررا، نعم يجب عليه العمل بدأب مرت عدة ساعات وهو فى خضم عمله جف ريقه، وانتهى الماء الذى فى الزجاجة التى ألقاها منذ قليل، داعبه السراب، لعل بها بعض النقاط فيمتصها، أراد أن يستعيدها فكانت بعيدة عن متناول يديه مد جسده ويديه إلى آخرها فلم يستطيع الوصول إليها شد السلسلة المكبلة لقدميه عن آخرها وتحمل الألم ومد يديه من جديد محاولا الوصول إلى الزجاجة فخيل إليه انه سمع صوت قرقعة مكتوم تأتى من أصفاد قدميه فأنحى إليها يفحصها بعد أن دب فيه امل

جديد أن يكون حدث مثل ماحدث مع أصفاد يديه، فخاب ظنه وتأكد أن الأصفاد مغلقة كما هى، ولم يحدث بها شئ، فعاد محاولا الوصول إلى الزجاجة مرة أخرى وشد جسده بقوة سحب قدميه من سلسلة الأصفاد لا إراديا، هذه المرة سمع الصوت بوضوح، انحنى مرة أخرى على الأصفاد ولكن مستندا على الأرض بيده فاكتشف مصدر الصوت، إن الأرض المكبل عليه قدماه تتحرك، فقد اكتشف فتحة صغيرة فى الأرض انفتحت من جراء تحرك صخرة كبيرة كانت من نوع الفلسبار، وذلك فى الجزء المكبل بها قدمه، فاستخدم يديه وأمسك السلسة وشدها بقوة بقدر ما استطاع، فتحركت قيد أنملة، تحسس الفتحة التى أحدثها، لم يشعر بزيادتها، إنه يحتاج قوة لم يعد يملكها بعدما أرهق جسده إرهاقا شديدا، و خارت قواه، فقرر أن ينام ليحصل على قسط من الراحة ويمنح جسده القوة اللازمه لتحريك تلك الصخرة، فخلد للنوم مطمئنا هذه المرة يحدوه أمل جديد.

تقلب فى فراشه مرتين وسحب الغطاء الحريرى الأملس متدثرا به فانزلق فوق جسده دون عناء ومد يده برفق تحت الوسادة وهو يغط فى نوم عميق لايشعر بشىء حتى الكهرباء الاستاتيكية التى تتكون من احتكاكه بالفراش تتسرب دون

عناء إلى خشب الأرو المصنوع منه السرير، تقلب على ظهره ومد يديه وفتح عينيه بهدوء وبدأ يفيق من نومه ثم ضغط على زر جرس بجانبه، بعد دقائق دخلت إلى الحجرة الكمريرة الأسيوية تدفع أمامها عربة الفطور الخشبية أوقفتها فى منتصف الحجرة بين كرسيى فوتيه و تركتها بعد أن أومأت إليه برأسها قائلة: – جود مورنينج مستر بهجت.

خرجت من الحجرة فى الوقت الذى كان فيه بهجت يغادر الفراش ويرتدى روبه الحريرى، توجه إلى حيث مكان العربة أمسكها وسحبها برفق، بل شدها بقوة أكثر هذه المرة، فتحركت الصخرة سنتيمتر آخر مازالت الفتحة التى أحدثها لا تسمح بمرور إنسان، ولكن لابأس، لم يكن يتخيل أن خلاصه يقبع تحت قدميه مازال غير متأكد أن الخلاص هاهنا، استجمع قواه المفقودة، شدها وتشبث بها بقوة : يارب. خرجت منه دون أن يدرى واستمر يرددها مع كل محاولة:

– يارب.. يارب.

أخيرا أصبحت الفتحة ملائمة، مد يده داخلها فاصطدم بصخرة ملساء شبه منحنية حرك يديه بداخلها، حاول أن يستطلع محيطها وجدها ضيقة لن تسمح بمرور جسده سينحشر

بداخلها، حاول أن يدفع بيديه الجزء الآخر من الصخرة غير المكبل بها فلم تتحرك لأنها جزء راسخ من الأرض.

أخرج يده وحاول أن يدخل رأسه بحرص فلم يستطع، يجب عليه الوقوف ثم الانحناء حتى يستطيع إدخال رأسه، إنه وضع السجود من الوقوف وضع لم يعتاده: «اللهم ردنى اليك ردا جميلا». يبدو أن الله استجاب لدعائه، إذن هو فى الطريق الصحيح. كان أكمل يرتدى تيشرت وبنطلون ترنج خفيف وحافى القدمين حين فاجأه رجال سعيد الدقاق بشقته واقتادوه إلى محبسه، وغالبا تأكدوا أنه لايحمل شيئا فى جيوبه بعد تخديره.

وقف وسجد وأدخل رأسه فى الفتحة برفق، لم ير إلا الظلام، دفع جسده فانحشرت كتفاه، قوسهما واستمر فى الدفع، ساعدته ملاسة الصخرة والجاذبية الأرضية حتى أدخل جسده بالكامل، وأصبح معلقا من قدميه فى السلسلة المكبلة فى الأرضية العليا وجسده مسجى على الصخرة الملساء المنحنيه مثل زحليقة الأطفال مازال جسده ينزلق ببطء، استدار ليكون نائما على ظهره، فرأى الصخرة المكبل فيها والتى فتحها منذ قليل وهبط من الفتحة التى أحدثها منها، تعود ببطء إلى وضع الإغلاق كلما هبط جسده إلى أسفل، فقد كان جسده

المنزلق يجر السلسلة لتعود بالصخرة إلى وضعها الأول، وتغلق الفتحة التى هبط منها وظل هو معلقا فى الوضع المقلوب.

– كل واحد متعلق من عرقوبه سلام يا إشطه.

قالها سعيد الدقاق بعصبية وهو يغلق سماعة التليفون مع محدثه ثم التفت إلى أحد رجاله الذى يقف أمامه انتباه.

– انهم لايفهمون، غلبت افهمه ما فيش فايده أنا دائما محاط بالاغبياء قلت له السلاح له ناسه وما تدخلش نفسك فى اللى مالكش فيه، ما فيش فايدة عايز يجيب لى سلاح روسى ومصمم أنه هيتغلب على الأسلحة الأمريكانى. بهايم ياابنى والله هو حر أنا قلت إيه «كل واحد متعلق من عرقوبه».

مازال معلقا فى الظلام من قدميه يستند إلى الصخرة الملساء، ظل على حاله المقلوب هذا ساعات منقلبا بانحناء مائل ممسوكا بسلسلة الأصفاد الحديدية من قدميه، بعد أن ذهبت هباء كل محاولاته للتحرر حتى اقترب من يقين أنه سيموت هكذا مقلوبا، سيصبح هيكله العظمى على هذا الشكل ما استطاع التماسك، ثم لن يلبث أن ينزلق بعد جفاف اللحم حول القيد ليكمل رحلة الانزلاق هيكلا

عظميا غير كامل وتتبعثر عظامه فى أرجاء المجهول.

إلى هنا وانتهى عمل الجسد، عليه أن يعمل عقله ولكن ماذا يفعل العقل الآن يجب عليه أن يتخلص من قيود قدميه ويتحرر، تذكر أفلام الأكشن التى دأب على مشاهدتها، تذكر محاولات السجناء التخلص من قيودهم ونجاحهم فى ذلك وأشهرهم انتونى هوبكنز الذى تخلص من قيوده باستخدام عظمة دجاجة فى فيلم «صمت الحملان»، هل هذا ممكن بالفعل؟! مؤكد أنه غير حقيقى، كما أنه لايملك عظمة الدجاجة أو ما يشبهها حتى, هل سيظل ملقى هكذا مقلوبا فى الظلام؟ إن مرور الوقت ليس فى صالحه، إنه بالطبع يعنى هلاكه، ورغما عنه يمر الزمن ويصبح كل شىء لاشىء سوى ظلام وبرودة وانقلاب.

ولكن ماهذا، لقد تدحرجت حلقة الميدالية على جسده حتى استقرت على رقبته تحت ذقنه فاطبق عليها وأدخلها فى سبابته وابتسم: هذا ليس معقولا، لقد كان يمسك بها فى بيته قبل أن يهاجمه رجال سعيد الدقاق الذين لا يعرفهم، كان قد استخلصها من سلسلة مفاتيحه ليضع بها مفتاح شقة المعادى ولكنها وقعت منه ولم يجدها وبحث عنها دون جدوى حتى وجدها تتدحرج الآن وتأتيه طواعية، أين كانت، فى أى

جـزء مـن ملابسـه علقـت، لايـدرى، قربهـا مـن فيـه وقبلهـا وهـو مؤمـن أنهـا سـتكون هـى خلاصـه.

استراح وأسـند رأسـه على الصخرة الملساء شـاكرا الله وحامدا له.

وبـدأ يمـد الحلقـة المسـتديرة بحـرص حتـى اسـتقام جـزء لابـأس بـه منهـا، فأدخـل الجـزء المسـتدير الباقـى منهـا مـرة أخـرى فـى سـبابته حتـى لا يفقدهـا أثنـاء محاولتـه حـل الأصفـاد. ثنـى جذعـه ليتمكـن مـن معالجـة القفـل، وهبـاء ذهبـت محاولاتـه، مـرت سـاعتان وهـو يحـاول دون جـدوى أن مـا حـدث فـى صمـت الحمـلان هـراء هـراء، لـن يفلـح الأمـر، أصابـه الملـل وكلـت يـداه فأغمـض عينيـه ووضـع يديـه جانبـا لإراحتهمـا، قـد كان يظـن نفسـه فـى الماضـى قـادرا علـى الكثـير ولكـن كان دائمـا يلاحقـه الفشـل وتتكسـر مجادفيـه، كمـا كلـت يـداه الآن، كـم مـن سـقوط مـدوى لاحقـه، وهاهـو الآن علـى شـفا اللعبـة الكـبرى فقرة السـقوط الحـر هـذا إذا نجـح فـى حـل الأصفـاد.

مـازال يحـاول أن يحـل قيـود قدميـه ليهـوى إلى المجهـول، ربمـا يسـير إلى حتفـه باختيـاره، لقـد تـرك تـوا بصيـص الضـوء فـى الأعلـى وهبـط بكامـل إرادتـه وحشـر نفسـه ليقبـع داخـل قـبر مظلـم مـن الصخـور البـاردة.

كان يعبث فى طفاشته التى أتته على حين غرة حتى صنع منها شكلا جديدا، وحاول مرة أخرى بلا جدية، فجأة سمع أحلى صوت يمكن أن يسمعه، صوت تحرير اللسان وانفلاته بقوة، لم يصدق لقد تحررت قدمه اليمنى فنشط وبجدية هذه المرة عالج أصفاد القدم الأخرى، فتحررت وكأنه فتحها بمفتاحها فانزلق فى الحال على الصخر الأملس المنحنى حاول التشبث فى أى شىء فلم يستطع بل ازدادت سرعته، كان ينزلق وهو نائم على ظهره ورأسه إلى أسفل، فدار بجسده أثناء هبوطه ليجعل رأسه إلى أعلى ثم انقلب على بطنه ومازالت أصفاد يده اليمنى التى لم يحلها تحتك بالصخور أثناء هبوطه فتحدث شررا متطايرا فى قلب الظلام، خيل إليه أنه يرى وجوها مع اندلاع الشرر تظهر وتختفى، انقبض قلبه من الرعب شعر أنه يقترب من النهاية بالفعل بهذا الهبوط الاضطرارى إلى الهاوية، حاول آخر محاولاته فألصق كفيه فى الصخرة محاولا تخفيف سرعته بقدر الإمكان حتى نجح فى النهاية فى تخفيفها بالفعل، واستطاع أن يوقف الهبوط السريع بصعوبة شديدة، كانت الصخرة قد شارفت على نهايتها وأصبحت رجلاه فى الهواء وجذعه فقط الملتصق بالصخرة فان تركها لا يدرى إلى اين سيكون مصيره.

الزمن مرة أخرى، الزمن هو «القوى الذى لايقهر » الذى عليه أن يواجهه، إلى متى سيستطيع الإمساك بالصخرة، حاول أن يتسلقها فأوشك أن ينزلق فأمسك بها بكل قوته التى حتما ستبدأ فى الخوار مع مرور الوقت، عليه أن يتشبث أطول فترة ممكنة، ولكن إلى متى، عما قليل سيغشاه التعب ويسقط استطلع برجليه أى شىء حوله فلم يجد إلا الخواء، إنه ليس جبًّا له جوانب، إنه مكان مفتوح.

بالفعل وبعد مرور أكثر من ساعة بدأت يداه تكل وتأكد أنه سيسقط لامحالة، ترى كم طول المسافة التى سيسقطها وماهى المسافة التى سيتحملها جسده؟!

إذا كانت أكثر من عشرة أمتار ستتكثر عظامه، وربما يموت بعد فترة، وإذا كانت ضعف ذلك سيموت حتما، أما إذا كانت هوة سحيقة تقدر بعشرات الأمتار، فإنه لن يشعر بألم وسيموت فى الحال، استراح إلى هذا الاستنتاج الذى جعله شبه مستسلم، لقد فعل جل مايستطيع وما كتبه الله عليه سيكون.

خارت قواه وهبط بقوة فأغمض عينيه مستعدا للمسافة التى سيسقطها والوقت الذى سيستغرقه فى الهبوط...

ولكن بعد ثانية واحدة اصطدمت قدماه بالأرض، واكتشف أنه لم يكن يبتعد عنها أكثر من ثلاثة أمتار، إنه على الأرض تحسسها بيديه، إنها الأرض بالفعل، كم هى جميلة الأرض استلقى على ظهره من التعب مادا يديه وقدميه، وبعد قليل استسلم لنوم عميق وهو يتساءل فى نفسه: من أين يدخل الهواء إلى هذا الكهف السحيق؟!

obeikan.com

١٠

عندما استيقظ وجد عينيه ترى كأنه ضرير قد عاد إليه بصره دون أن يدرى، من أين جاءت الأضواء التى كانت خافتة جدا ولكن يكفى أنها تسمح له بالرؤية؟! تجول بنظره فى الانحاء فاكتشف انه فى مكان فسيح تحده حوائط متعرجة، أما الجزء الذى هبط منه توا فقد كان على مقربة جدا، تبينه بدون وضوح لعدم انتشار الضوء وتبين له أن الضوء يتسرب فى الأغلب من ثقوب صغيرة فى الجبل تسمح بمروره من علو شاهق، كما تسمح بمرور الهواء، وقد ساعدت صخور المايكا ببلوراتها الفاتحة فى انعكاسه وتكراره فغطت بعض الأنحاء.

هذا إلى جانب أنواع أخرى من الصخور المتناثرة كالكلسيت والفحم الحجرى الذى إن استطاع أن يشعله سيساعده فى الرؤية إذا أحدث شررا كالذى حدث من احتكاك السلسلة الحديدية فى أصفاد يده بالصخور أثناء هبوطه، رأى فى

تجويف معرج بالحائط تمثال أحد الفراعين، تيقن أنه داخل مدفن فرعونى غير مكتشف.

هو لايعرف من ملوك الفراعين سوى رمسيس الثانى وتوت عنخ أمون، أما هذا التمثال فهو لفرعون لا يعرفه، عاوده الشعور بالعطش الشديد فجلس متقوسا لايؤرقه غير جفاف ريقه وأصفاد يده اليسرى والمتدلى منها سلسلة أصفاد اليد اليمنى التى نجح فى حلها، تذكر حلقة المفاتيح التى استخدمها، نظر إلى سبابته وتحسس أصابعه فلم يجد لها أثرا، لقد قامت بدورها ثم اختفت فى خضم الهبوط الجنونى الذى خاضه منذ قليل.

قام بجسد منهك يتجول فى المكان، ولا يخفى سرور نفسه التى تميل إلى الفضول تتزين لها لذة اكتشاف المجهول، قد كان فى الماضى يبرأها بشراء كل ماهو حديث فى عالم الأجهزة الالكترونية ويتحمل الكثير فى إسراف غير محسوب لأرضاء فضولها الملح.

تجول بحرص فى المكان الذى لم يكن ممرا، بل كان طريقا فسيحا فى مدينة كبيرة مدفونه فى باطن الجبل، تكررت

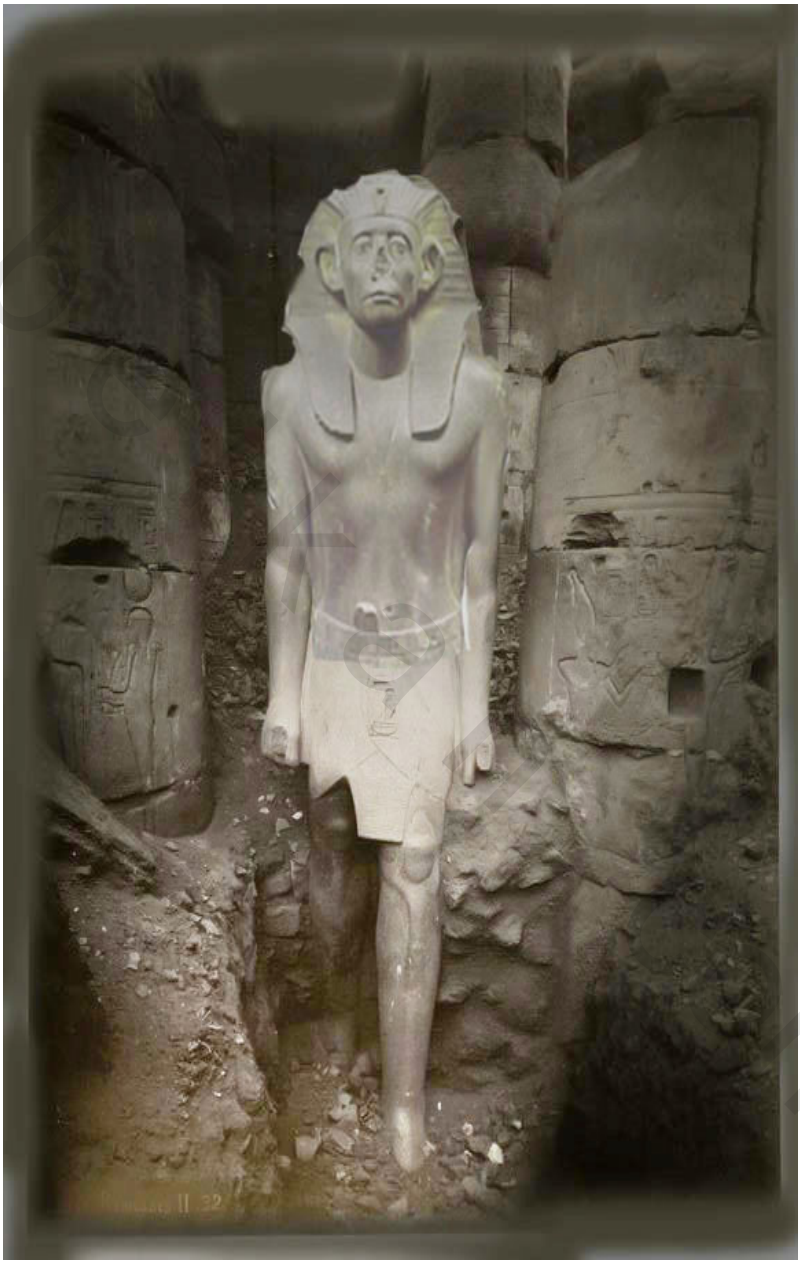

رؤيته أثناء ذلك لتماثيل مهملة منها أجزاء مدفونة فى الأتربة المتكلسة فى جوانب الطرق، كانت حوائط الجوانب متعرجة ملساء ومستوية فى بعض أجزائها، تلتقى بالأرض فى انحناء بدون فاصل كأنهما شىء واحد، وإلى الأمام يضيق الحائطان الأيمن والأيسر حتى يكادا يلتقيان، فيمنع التقاءهما أرش مفتوح عظيم البناء يحد جانبيه عامودان هابطان من أعلى بقوس ومزينان بوزرات بطول الانحناء.

عبره إلى ممر جديد قاده إلى طريق آخر متسع حتى بدأ يتدرج إلى الأعلى بدرجات فسيحة بعرض الطريق من الجدار إلى الجدار، الدرجة الواحدة طولها أكثر من خطوتين، فيسير فوق الدرجة حتى يصل إلى التى تليها تاخذه صاعدة به إلى طرق أخرى أكثر إظلاما فى مجملها تنير بعدما يخوض فيها وتلك من أعاجيب بؤبؤ العين.

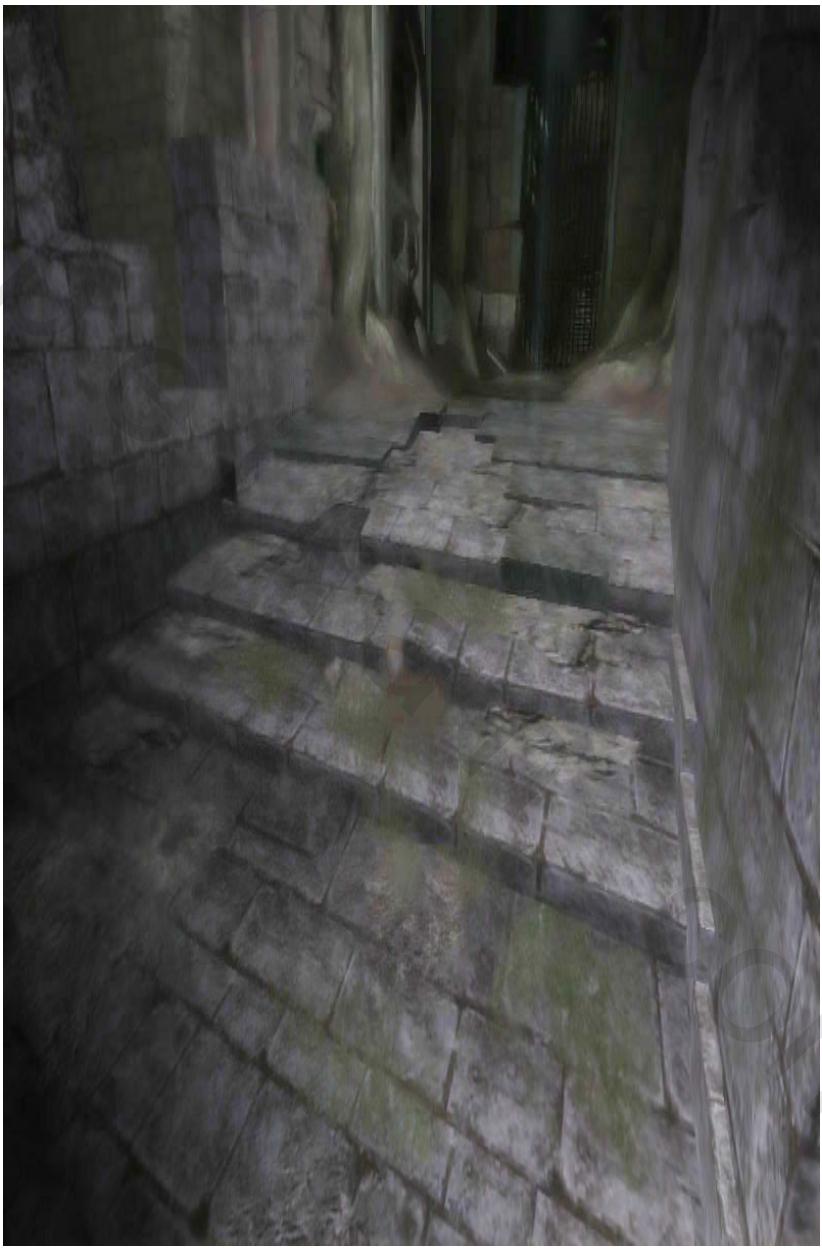

١١

بعد مسيرة طويلة وصل إلى مدخل جديد يحده عامودان شاهقان قاعدتهما تعلو رأسه بقليل، وقف بينهما كعقلة الأصبع بسبب ضخامتهما، كان العمودان ياخذان شكل مخمس غير متساوى الأضلاع ما إن عبرهما حتى أصبح داخل بهو بأرضية رخامية، المكان أشبه بالقصر، أنساه انبهاره العطش الشديد وتغلب الفضول على حاجات جسده الملحة، تقدم خطوات يجرجر سلسلته الحديدية المعلقة فى معصم يده اليسرى، كان دهشا من ضخامة الأبنية التى تحيط به، وروعة الأشكال الفرعونية البارزة على الجدران، وقبل أن يصل إلى منتصف البهو، وما إن خطا خطوته الأخيرة حتى وطأت قدمه بلاطة رخامية كانت متحركة على محور تنقلب حين تطأها قدم أو يضغط طرفها ثقل، وجد نفسه يهوى إلى أسفل والبلاطة تنقلب به إلى حجرة سفلية بنفس ضخامة العليا وانقلاب

الدرجة يحرك سيوفا طويلة مثبتة على أسطوانتين رأسيتين تدوران بسرعة كبيرة محدثتين صريرا مرعبا لتلتقف من يسقط من الأعلى لتقطع أوصاله وتجعله أشلاء منثورة.

حف أعلى السيوف من تحت قدميه وشعر بهوائه وهو معلق من يديه، إن الذى انقذه من السقوط الكامل الأصفاد التى بيده اليسرى والتى جعلت انحشار أصفاد اليد اليمنى المحررة بعد إغلاق الدرجة الرخامية بعد دورانها دورة كاملة هى التى انقذته، نظر إلى الاسفل فاذداد زعرا برؤية الاسطوانات الدوارة المهلكة كالمفرمة بسيوفها البتارة وصريرها المزعج، بعدما توقفت لم يكن متاكدا من تحمل الأصفاد فإن حاول الإمساك بحافة السقف المغلق بالبلاطة سيضطر إلى دفعها إلى أعلى عند ذلك ستتحرر حشرة الأصفاد بها ويسقط، إذن عليه عدم دفعها حتى لا يسقط، عليه أن يدخل أصابعه بحرص ليمسك بهما فى الحافة، حاول فعل ذلك بحرص ولكن الدرجة تحركت بسرعة إلى الاتجاه الآخر ودارت الأسطوانات المحملة بالسيوف فى الحجرة السفلية فى اتجاه عكسى ودارت الدرجة أيضًا فى اتجاه عكسى لتحمله ويجد نفسه فوق السطح مرة أخرى فزحف بعيدا عنها بسرعة.

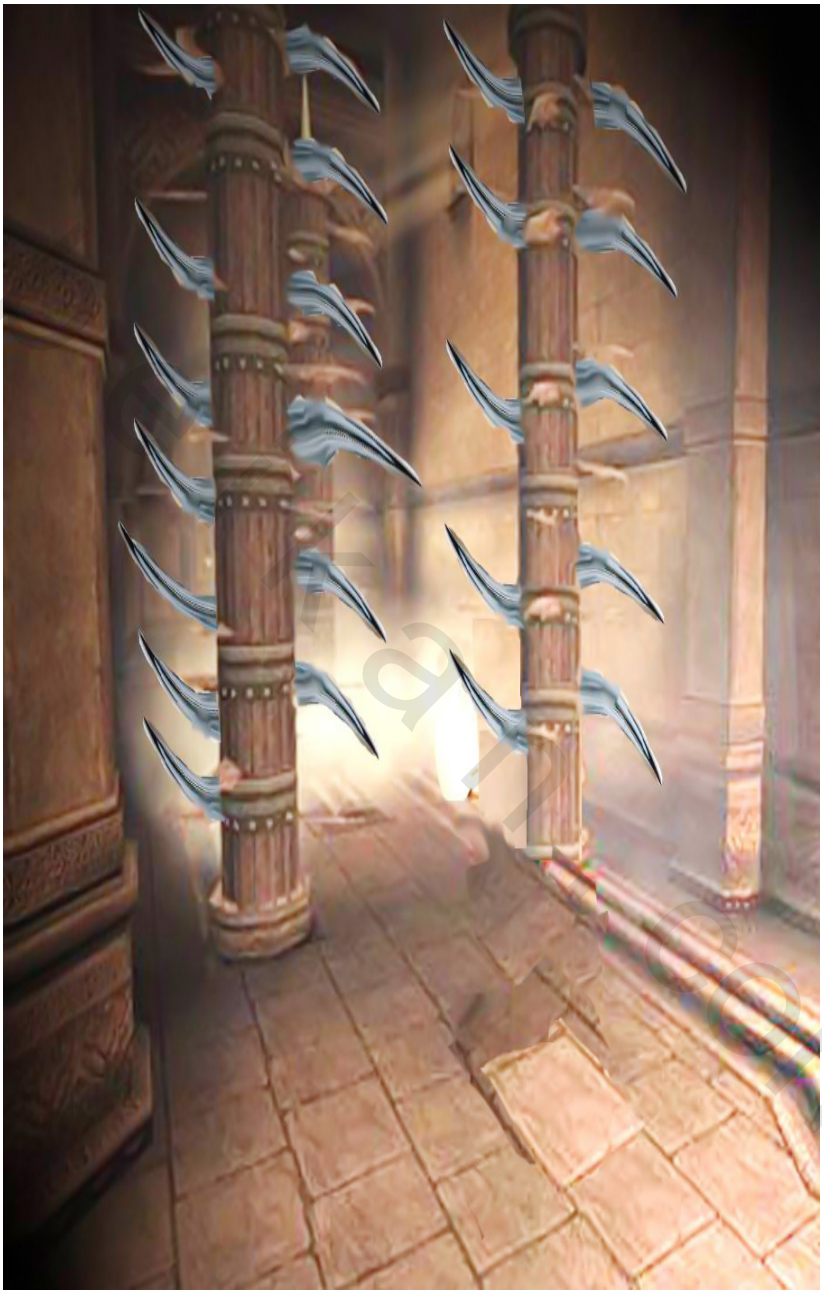

تنفس الصعداء وظل جالسا مكانه دون حراك حامدا الله أن الأرض التى يجلس عليها ثابتة لا تتحرك، بدأ يتحسس بيديه الأرض حوله وقام واقفا بحرص, بدأ يخطو بتؤدة، و فى كل خطوة يخطوها كان يمد قدمه بحرص قبل أن تطأ الأرض يتحسس بها مدى صلابتها حتى وصل إلى آخر البهو الكبير فدلف منه إلى حجرة أصغر من خلال ممر كان مظلما هو والحجرة نفسها فقد بدأ الظلام يغلف المكان فيبدو أن غروب الشمس قد قرب وبدأ الظلام يحل.

شاهد مشاعل مطفئة معلقة على الحائط سار إلى إحداها بحرص، تناولها كانت الشعلة عبارة عن يد خشبية فى آخرها حامل حديدى وضع فيه قطعه فحم حجرى، إن عليه أن يشعلها، عليه محاولة أن يحدث شررا، ربما استطاع أن يشعل نارا يهتدى بها.

أمسك الشعلة وحاول صناعة شرر فلم يفلح حتى نجح فى النهاية، ولكن الشرر لم يوقد الشعلة استمر فى محاولاته حتى حل الظلام تماما، ولم يعد يرى كف يده فجلس بجوار الحائط يستريح حتى غلبه النعاس فنام فى مكانه.

كوب من الماء المثلج وسيجارة، سيجارة من أى نوع، هذا ما تتوق إليها نفسه، الماء كلمة جميلة هى ما يرنو إليه بشغف بلسان جاف وحلق شاحذ، لم يعد قادرا على شىء، لم يعد قادرا على التحرك من مكانه، خارت قواه تماما وأصبح كالخرقة المهلهلة، لقد مر عليه الآن ستة أيام كاملة.

obeikan.com

١٢

بعدما استيقظ غلبه النعاس مرة أخرى بسبب التعب الشديد الذى كان يشعر به، وبسبب عدم وضوح الرؤية، ظن أن نور الصباح لم يبزغ بعد، ولكن الحقيقة أن الشمس لم تكن قد اقتربت من الجبل لتتسرب أشعتها من خلال ثقوبه فنام أربع ساعات أخرى ثم استيقظ على بصيص من الضوء، اعتدل جالسا وعاود محاولات إشعال النار من جديد حتى نجح أخيرا فى إشعالها فأنارت له المكان بوضوح أكثر، مما أشحذ عزيمته فقام وجعل يسير بحرص وبطء حاملا الشعلة المنيرة وكلما تعب توقف حتى أصبح صورة من تمثال الحرية الذى كانت تجلس فيه شاهيناز برفقة بعض الرجال والنساء، تتحدث فى تليفونها المحمول مع زوجها بهجت غازى :

– ازيك يا حبيبى.. بقى طول المدة دى ما تسألش علىَّ؟!

– كنت مشغول للدرجة دى عموما متشكره قوى حسابنا بعدين، أنا ها آجى يوم الأربع فى طيارة الساعة واحدة ونص ياترى ها الاقيك فى انتظارى ولا ها تبقى مش فاضى؟!

– لا واحدة صباحا.. على فكرة صوتك مش عاجبنى فيه حاجة؟!

– ....

– بجد؟

– ...

– أوكى لما اشوفك بقى باى باى.

أغلق بهجت الموبيل ونظر فى ساعته ثم نظر إلى أعلى وأمسك الموبيل واتصل بسعيد الدقاق : أريد مقابلتك فى الحال.

obeikan.com

١٣

بعد مسيرة ساعة وجد بابا حجريا مغلقا فراوده الأمل أن يكون وراءه الخلاص، ولكن كيف السبيل إلى فتحه؟! تفحص جوانبه بحرص فلم يجد شيئا حتى لمح عند الحائط الجانبى الأيمن ذراعا حديديا داخل مجرى رأسى، فاقترب منه بحرص وحركه إلى أسفل فانفتح الباب، دخل منه إلى حجرة صغيرة بها باب بنفس شكل الباب الذى دخل منه نظر إلى الحائط الجانبى الأيمن وجد اليد الحديدية فحركها كما فعل فى الأولى فانفتح الباب وأغلق الباب الذى دخل منه توا. إن اليد تقوم بفتح الباب الجديد وتغلق القديم فدخل إلى حجرة جديدة وفعل ما فعل فى الأولى فانفتح الباب الجديد وأغلق الذى دخل منه خاف أن يكون هناك فخ بأن يدخل إلى إحدى الحجرات فيغلق الباب الذى دخل منه ولا يفتح باب جديد، ويصبح حبيسا فى داخلها، فانتبه فى كل مرة يحرك

اليد أن الباب الجديد يفتح وإلا عليه أن يعود من الباب الذى دخل منه قبل أن يغلق، ولكن الأبواب كانت فى كل مرة تفتح وتغلق بانتظام حتى نسى عدد الحجرات التى دخلها، وبدأ يتعب من كثرة الحجرات التى لا تنتهى ساوره الشك، فكل الحجرات متشابهة، شعر أنه يدخلها هى هى فى كل مرة، خلع التيشرت وألقاه على الأرض فى إحدى الحجرات واستمر فى فتح الحجرات والمرور من الأبواب حتى وجد التيشرت مرة أخرى فأدرك أنه يدور فى حلقة كاملة لاتنتهى من الحجرات، إنه أصبح فى فخ جديد لا يعلم كيف يخرج منه وقد بدا نور الشعلة يخبو.

عليه أن يكتشف المخرج قبل أن تنطفىء الشعلة ويكون البحث أصعب، حرك اليد هذه المرة وخرج من الباب الذى دخل منه قبل أن يغلق فأصبح فى حجرة مغلقه البابين، أسقط فى يده وداخله الارتياب ربما يكون بذلك قد أوقع نفسه فى الفخ.

فحرك اليد وقد تملكه الرعب ظنا منه أن الباب لن يفتح لأن الباب الخلفى مغلق فانفتح الباب الأمامى مرة أخرى رغم ان الباب الخلفى مغلق كما هو, حمد الله لعدم تحقق ظنه ودخل منه ثم دخل إلى الحجرة الجديدة وفكر أن يكرر ما

فعله ولكنه تراجع فربما يكون الفخ فى حجرة أخرى، وقرر أن ألا يرجع، بل ينظر من خلال الباب فى كل مرة قبل أن يغلق حتى اكتشف فى إحدى الحجرات أنه عند غلق الباب الخلفى يفتح باب جانبى خفى فخرج من الباب قبل أن يغلق ودخل من الباب الآخر الخفى فأصبح فى ممر جديد.

أثناء اجتيازه للممر وجد به شعلة أخرى تناولها وأشعلها من الشعلة التى بيده وترك الأولى مكانها بعد أن شارف ضوؤها على الانتهاء.

الحجرة التى دخلها هذه المره قديمة متهالكة ومستديرة، والمفاجأة التى أسرته أنها يتوسطها بئر. حوله ثلاثة أوانى فخارية اثنان منهما مكسوران، اقترب من البئر بحرص عسى أن يكون فخا جديدا، تأكد أنه فعلا بئر ولكن للأسف ليس به ماء، لن يستطيع الصمود أكثر من ذلك لقد شارف على الهلاك.

تهالك على الأرض جالسا مستندا بظهره إلى البئر.

شعر أنه وصل إلى النهاية، هل هنا بالفعل النهاية ؟ سيموت حتما فى هذا المكان بجوار البئر الجاف.

١٤

فـوق جبـل المقطـم وبجـوار الحافـة جلسـا متقابلـين بهجـت غـازى يتحـدث وسـعيد الدقـاق يسـتمع حتـى انتهـى بهجـت مـن حديثـه فاومـأ سـعيد فـى غضـب مكتـوم قائـلا :

— سيدة ؟ أنا لا افضل قتل السيدات نهائيا.

فبادره بهجت :

— مـاذا تقـول ؟ كنـت أظن أنها من المهمات البسـيطة بالنسـبة لك.

— ليـس كل كل تظنـه صحيحـا، إن قتلهـن ليـس بالأمـر الهـين، إن الرجـال يموتـون بسـهولة أكثـر ومنتهـى اليسـر، أمـا هـؤلاء فأنـت لا تعلـم، إنهـن فعـلا مثـل القطـط لا يموتـون بسـهولة.

بهجت دهشا :

— كيف تقول ذلك، وعلى العموم القطط تموت أيضًا.

openkan.com

– نعم ولكن ليس بسهولة، أنا أخبرك بهذا الأمر عن خبرة عمر طويل، بعدما شعر بعدم اقتناع بهجت بحديثه استرسل :

– حسنا يمكنك ان تقول اننى لست محظوظ فى هذا.

بهجت ببعض السخرية :

– وما دخل الحظ يا سعيد بك ؟ كنت أظنك من العقلاء الذين لا يعترفون بهذه الترهات.

– هو كذلك، ولكن هذا عن خبرة كما قلت لك.

بهجت مشجعا :

– يبدو أنك متشائم، أنا أرى أنها عملية يسيرة، حادث سيارة فى طريق المطار. ثم أردف :

– ولكن ما يقلقنى السائق لا أريد قتل أحد بدون ذنب.

ضحك سعيد من قلبه، قهقه بشدة ثم سعل قبل أن يتحدث معتذرا :

– آسف اعذرنى يا بهجت بك.

بادره بهجت :

— يجب أن تعلم أننى لا أقدم على معاقبة إنسان بدون ذنب.

— هو انت ربنا يا بهجت بك؟!

بهجت بجدية :

— هذا مبدئى.

سعيد متحولا :

— إذن سارسل أحد رجالى يقود لها السيارة.

بهجت باهتمام :

— وما هى الخطة التى برأسك؟

سعيد بنفس الاهتمام :

— سوف أرسل سيارتين من المحترفين لدىَّ فى القيادة ليجعلوا السيارة التى تستقلها تنقلب كأنها حادثة قضاء وقدر.

بهجت مستنكرا :

obeikan.com

– ويموت رجلك الذى يقود السيارة التى تستقلها زوجتى.

سعيد بقليل من الإصرار :

– نعم .

بهجت : يمكن ألا تركب معه.

سعيد : حتى وإن ذهب بإحدى سياراتك ؟

بهجت : لا أدرى ربما.

سعيد : وأنت كيف تتعلل بعدم ذهابك؟

– ساتعلل لها بأننى مشغول لم أستطع الذهاب وهذا الرجل سائق جديد ولكنى مازلت لا أوافق على قتل رجل برىء.

– ولكنك لا تعرفه يا بهجت بك.

– يكفى أننى عرفت أن بريئا سيقتل.

– اسمع عندى فكرة، لا ترسل أحدا واترك الأمر كاملا لى.

– ألن يقتل برىء؟!

obeikan.com

– يـا بهجـت بـك هـل تتصـور أنـه ليـس هنـاك أبريـاء يموتـون فـى حـوادث؟!

بهجت مستنكرا :

– فى حوادث قدرية وليس مدبرة.

– يـا بهجـت بـك مـا أنـا إلا يـد القـدر التـى تنفـذ مـا كتبـه الله علـى العبـاد.

ضحك بهجت بشدة :

– أنت يد القدر من الذى جعلك كذلك؟

سعيد بغضب مكتوم :

– أنت ومن على شاكلتك ممن يستعينون بى لتنفيذ مآربهم.

– ومع ذلك انت لاتسأل لماذا مطلوب قتل هذا أو ذاك.

– أنا اثق فى زبائنى.

استمر بهجت فى ضحكاته.

obeikan.com

سعيد محاولا الدفاع عن وجهه نظره :

– نعم، الذى أقتله هذا إن كان له عمر سوف يعيش وان كان الله قد كتب عليه الموت سيموت فأنا يد القدر كما ترى.

بهجت بمزيد من السخرية :

– اللهم قوِّ إيمانك، ولكن ماذا عن الأبرياء الذين يموتون أثناء عملياتك؟

– إنهم شهداء ولهم الجنة...

انفجر عند ذلك بهجت ضاحكا دون توقف.

★★★

أمسك أحد الأوانى الفخارية وألقى بها داخل الجب ولوى وجهه لتواجه أذنه فوهة البئر ليسمع صوت الارتطام الذى جاءه بعد حوالى خمس ثوانى أو أكثر، إنه عميق جدا، يبدو أنه ليس هناك مخرج إلا هذا البئر، وقد عاهد نفسه أن يموت وهو يحاول، ويجب أن يستمر فى المحاولة يجب أن يهبط إلى القاع ربما وجد المخرج، رغم أنه كلما هبط فى هذا المكان على درجات أو طريق نازل ازداد إحساسا بابتعاده عن المخرج،

ربما يكون إحساسه خاطئا، ويكون المخرج فى الأسفل، ولكن كيف يكون الخروج من الجبل فى النزول إلى قاع الجبل، ليس أمامه طريق آخر، كان البئر متسعا يصل نصف قطره لأكثر من متر ونصف مما لا يسمح له أن يهبط منحشرا بيديه وقدمه على جوانبه، مد ذراعه مصوبا الشعلة إلى فوهه البئر يتفحص جوانبه، فاكتشف بروز بعض الحجارة على جداره والتى قد تسمح له بتسلقه هابطا، واحتار أين يضع شعلته، إنه يحتاجها للإنارة وإن كانت ستعرقل تنقل مواضع قدميه ويديه، القى قطعة الفحم الحجرى التى داخل المشعل الذى يحمله على الأرض وأمسك أحد الأوانى الفخارية ودق بها عليها لاستخلاص جزء صغير مشتعل منها ثم ألقى الحجر المشتعل فى فوهة البئر فطارت كأنها لا تهبط، بل معلقة فى الظلام لاتتحرك يخفت ضوؤها خفوتا بطيئا، وعلى غير الزمن المعتاد الذى قطعته آنية الفخار، استغرقت النار وقتا أطول، بل خيل إليه أن هذه الشعلة الصغيرة ستوقد نار بركان هادر بمجرد مسها الأرض وتهب لتشوى وجهه المترقب فى ذهول هبوطها الممل فى هذا الجب العميق طيب الذكر وتذكر مقوله أحد زعماء النفاق من زملاء العمل القدامى الذين صادفهم فى سفرته دون أن يتذكر اسمه عندما سمعه مرة يقول لأحد زملائه إن لم تقدر عليه داهنه، فهل عليه أن يداهن هذا البئر اللعين؟!

وكيف يكون ذلك؟! ربت على حجارته بيده، وقال بائسا:

– شد حيلك معانا يا بطل.

ثم استغرق فى الضحك وجلس مستندا بظهره إليه، كان متأكداً أنه إن لم يجد مخرجا بالأسفل لن يستطيع الصعود مره أخرى وسيموت فى القاع. اقترب من البئر وهو واجم محزون كأنه يلقى نفسه بنفسه إلى التهلكة، ولكن أين المفر؟! قفز إلى القاع حتى لامس الأرض بيديه ثم ارتفع بشدة كأنه مشدود، يحمله الضغط إلى أعلى حتى تخرج رأسه من الماء ثم يسبح حتى حافة حمام السباحة ليتناول بعض العصير المثلج ويعاود العوم مرة أخرى منتظراً رنين تليفون الرقم الجديد الذى لايعرفه إلا سعيد الدقاق، سيخبره بتنفيذ المطلوب ونجاح العملية بعدما أغلق تليفونه حتى لاتحدثه زوجته من المطار تستفسر عن عدم حضوره أو إرسال سيارة تقلها إلى المنزل، لم يفارق الحزن وجهه، إنه مضطر لقتل أحب الناس إليه، وهو أمر ليس بالهين حين يضطر إلى ذلك.

١٥

خرجت شاهيناز بقامتها الفارعة وقدها المشوق وأناقتها المعهودة من صالة الوصول بالمطار تبحث عن زوجها بهجت غازى الذى وجدت تليفونه مغلقا عندما حاولت الاتصال به بعد هبوط الطائرة إلى أرض المطار مباشرة، وبعدما يئست من الانتظار أشارت إلى أول تاكسى فجاءها على الفور أشرف المجنون بنزيمه سابقا يحمل حقائبها إلى سيارته وينطلق بها إلى منزلها تتبعهما سيارتان لرجال سعيد الدقاق، سائقان محترفان يعرفان مهمتهما تماما، وإن فاجئتهما السرعة التى يقود بها سائق التاكسى على غير المتوقع، ولكن هذا لن يؤثر على مهمتهما بل سيزيد سهولتهما. انطلقت السيارات الثلاثة فى طريق المطار الخالى وقد اقتربت الساعة من الثانية والنصف صباحا، كانت إحدى سيارتى رجال سعيد الدقاق جراند شيروكى سوداء والثانية كانت فورد زرقاء، أما السيارة التى كان يقودها أشرف فكانت اسبرانزا صينى، قبل مطلع

أول كوبرى بطريق المطار انطلقت السيارة الشروكى من يسار التاكسى ثم فجأة انحرف يمينا ليجعله يصطدم بالرصيف وبداية سور الكوبرى، عند ذلك جذب أشرف الهاند بريك ودار دورة كاملة حول نفسه بالسيارة ليتفادى سور الكوبرى، وينطلق بسرعة جنونية صاعدا الجسر وأمامه السيارة الشيروكى وخلفه الفورد، عاجلته شاهيناز:

— إيه فيه إيه عايز منك إيه ده انت عملت حاجة؟!

— لا والله يا مدام يظهر انت إلى عملتِ حاجة.

— طيب وقف العربيه فورا .

— مش هاينفع خالص.

فى هذه اللحظة اقتربت منه السيارة الفورد محاولة دفعه من الخلف فى الوقت الذى كانت الشيروكى تخفض من سرعتها ليصبح بينهما ويلتقماه وفى جزء من الثانية ضغط سائق الشيروكى على الفرامل حتى يجعله يصطدم به وفى نفس الوقت تصدمه الفورد من الخلف ولكن أشرف أدرك مايرمون إليه فانحرف بسيارته دون أن يخفض سرعته فكادت الفورد تصطدم بالشيروكى لولا تفاديهما الاصطدام فى آخر

اللحظات بحرفية شديدة، ونظرا السائقان إلى بعضهما البعض نظرة ذات مغزى وابتسما قبل أن ينطلقا مرة أخرى وراء السيارة الاسبرانزا وهما معجبان بقدرة السائق على الإفلات منهما مرتين متتاليتين وقد قررا أن يجهزا عليه فى المرة المقبلة دون رحمة.

انطلق أشرف بسرعته العالية إلى نفق الثورة ومنه إلى النفق المؤدى يساره إلى شارع يوسف عباس ثم صعد إلى شارع يوسف ثم استدار بالسيارة نصف دورة وعاد هابطا إلى النفق فى اتجاه عكسى فوجىء قائدا السيارتين به فى مواجهتهما أثناء صعودهما من النفق فانحرف كل منهما بسيارته دون تفكير فاصطدما بالحائط الجانبى الأيسر والأيمن للنفق وانقلبا عدة مرات قبل أن يصطدما ببعضهما وتهبط النفق السيارة الفورد على ظهرها بينما الشيروكى على جانبها ثم ينفجران تباعا، أما أشرف فقد استمر فى طريقه العكسى ثم انحرف يسارا إلى شارع صلاح سالم وانطلق بسرعة جنونية ضاحكا بهيستريا ثم تناول زجاجة الخمر من أسفل المقعد وتجرع منها جرعتين متتاليتن قائلا:

– خلصنا منهم ولاد الهرمة دول كانوا قاصدينك انت يا مدام.

لم يتلق ردا، نظر فى المرآة لم يجد الراكبة التفت وراءه وجدها مغشيا عليها فوق الكنبة الخلفية استمر فى سيره

بسرعة عالية حتى وصل إلى السيدة عائشة ثم عين الصيرة ثم نفق الملك الصالح حتى بلغ كورنيش المعادى فأوقف السيارة ونزل إليها ملأ فاه بالماء ثم بخه فى وجهها أفاقت متأوهة :

— إيه ، فيه إيه, حصل إيه؟

اشرف بنبره انتصار :

— خلاص خلصنا منهم.

شاهيناز وهى تجفف وجهها بمنديل ورقى :

— مين دول وعايزين إيه منك؟

— منى إيه يا مدام دول أكيد قاصدينك انتِ.

— هايقصدونى أنا ليه أنا ماليش أعداء.

— هو حضرتك بتشتغلى إيه؟

— أنا مديرة برنامج العلوم الاجتماعية والإنسانية.

— يبقى هو ده السبب فيه ناس ما بتحبش الإنسانية.. وبعدين ايه برنامج العلوم الإنسانية ده، يعنى إيه، يعنى

obeikan.com

تبـع وزارة إيــه ده، وزارة الصحــة مثـلا؟

شاهيناز بملل :

– لأ تبع الامم المتحدة.

– طيـب أهـو، يبقـوا دول بتـوع الأمـم اللـى مـش متحـدة بقـى وعايزيـن ينتقمـوا.

– انت باين عليك فايق.

– فايـق؟ حلـوة دى.. حضرتـك فاكرانـى جاهـل يـا مـدام أنـا عـارف الأمـم المتحـدة كويـس مـش دى بتاعـة بـان كـى مـون؟

تفاجأت شاهيناز وقالت باسمة :

– أيوه.

– الرجل ده بيصعب علىَّ قوى.

– ليه بقى؟

– عشـان علـى طـول قلقـان كل شـويه بـان كيمـون يعـرب عـن قلقـه شـغلانة صعبـة مـش كـده؟!

obeikan.com

أدركت شاهيناز سخريته فتحولت ابتسامتها إلى ضحكات:

– طيب يلا ودينى على البيت.

– يعنى خلاص حضرتك بقيتِ كويسة؟

– البركة فيك، انت لك مكافأة كبيرة عندى.

اشرف وهو ينتقل إلى مقعد السائق :

– لا شكرا مش عايز حاجة ومش عايز كمان تمن التوصيلة.

– ليه بقى؟

أشرف أثناء تحركه بالسيارة وانطلاقه بسرعته المعتادة :

– كفاية لحد كده قوى بس ياريت تعرفى مين إلى كان عايز يقتلك .

– مش عارفه.

ثم استرسلت:

– ممكن يكونوا أعداء جوزى.

obeikan.com

– وممكن يكون جوزك نفسه.

– انت باين عليك مجنون.

– فعلا أنا اشرف المجنون.

– تشرفنا يا سى أشرف.

توقفت السيارة أمام فيلا ضخمة بحى المعادى، وضع أشرف الحقيبتين أمام الباب، تناولهما رجل الأمن ودلف بهما إلى الفيلا قائلا : حمدالله على السلامه يا هانم. مدت شاهيناز يدها بحفنة من الدولارات إلى أشرف فتجاهلها قائلا :

– لا شكراً مش عايز.

وانطلق بسيارته تاركا شاهيناز واقفة مندهشة تنظر إليه وهو ينطلق قائلة بتعجب :

– مجنون!

فوجىء بهجت غازى بزوجته شاهيناز التى دبر لقتلها بمساعدة أبرع رجال القتل تقف أمامه حقيقة واقعة دون أن يصيبها مكروه، فضمها بين ذراعيه ناسيا كل تدابيره واحتضنها

حضنا دافئا مخلصا، قد كان لتوه يحاول أن يصور لنفسه مقاومته لحبها وأنها للموت مستحقة، وكان يدارى الحزن الذى ملأ قلبه من مجرد تخيل موتها، لقد كان يتمنى فى داخله ألا تموت، وفكر مرات أن يتصل بسعيد الدقاق ويلغى العملية، ولكنه قاوم ذلك معتصرا فؤاده بيده، ولكن ما إن رآها حتى نبض الفؤاد المخنوق حبا وقفز بها فرحا فبعثت له ولنفسه التى هم أن يبغضها قبلة الحياة من جديد، بدلال تخلصت من حضنه:

— يعنى وحشتك قوى ده أنا حسابى معاك كبير، بقى ما تكلمنيش خالص؟!

وقبل أن يرد عاجلته :

— اسكت مش أنا كنت هاموت!

تصنع الدهشه :

— إيه؟! ازاى؟!

— عربيتين فى طريق المط...

قطعت جملتها قائلة :

– استنى استنى انت ازاى ماتجيش المطار وكمان ما تبعتش عربية تنتظرنى؟!

– أنا آسف يا حبيبتى نسيت خالص.

– كمان نسيت؟! عذر أقبح من ذنب انت حصل لك إيه؟!

– اللى حصل لى كتير قوى بس قولي لى كنتِ هاتموتى ازاى ايه اللى حصل؟!

– عربيتين فى طريق المطار حاولوا يموتونا.

بهجت بجذع :

– يموتوكوا ؟

– آه أنا وسواق التاكسى كانوا عايزين يقلبوا بينا العربية لكن الولد سواق التاكسى طلع أشطر منهم هو إلى قلبهم وهرب بىَّ.

ابتسم بهجت فرحا ثم ضحك:

– معقولة؟! ده يستاهل جايزة.

obeikan.com

— ده حتى مارضيش ياخد تمن التوصيله وسابنى من غير ما ياخد فلوس.

— غريبة، ليه؟!

— مش عارفه بس باين عليه مجنون.

ملأته الشماتة فى سعيد ورجاله وسر لفشلهم، ثم انتهز دخول زوجته إلى الحمام وأخرج جواز سفرها من حقيبة يدها ونظر فى تاريخ المغادرة فهاله مارأى، واكتشف أنها سافرت بالفعل فى نفس اليوم الذى أوصلها فيه المطار وبعد ساعتين فقط من توصيلها، وذلك يعنى أنها لم تكن هى المرأة التى رآها مع أكمل فى الفور سيزون.

خرج من الحجرة ينادى على خاطر بلابل، أخبرته مديرة المنزل أنه فى الحديقة عند البوابة، هرع إليه صرخ باسمه قبل أن تطأ قدماه الحديقة، أتاه خاطر مهرولا، حاول أن يسيطر على نبرات صوته وضع يده على كتفه :

— هل تتذكر الرجل الذى أرسلتك فى أثره فى الفور سيزون؟

أجابه خاطر على الفور :

– نعم بالطبع الرجل الذى يدعى أكمل.

– تماما هل تتذكر المرأة التى كانت برفقته؟

جاوبه خاطر ببعض الريبة :

– نعم.

– من هى؟

– لا أعرف ولكن يبدو أنها كانت زوجته.

– أنا لا أسألك إذا كانت زوجته أم لا أنا أسألك من هى؟

– لاأعرفها.

– متأكد انك لا تعرفها؟

– نعم ولكن يبدو أنها زوجته.

– أنت قلت لا تعرفها.

– نعم لا أعرفها من قبل.

– يعنى أنك لم ترها من قبل.

obeikan.com

– نعم لم أرها من قبل.

– هل رأيتها بوضوح؟

– أعتقد ذلك.

– هل اذا رأيتها مرة أخرى ستعرفها؟

– مؤكد.

لقد كان يتصور أن خاطر بلابل عرف أنها زوجته شاهيناز، وكتم الأمر ولكن يجب عليه التأكد بنفسه، قرر أن يذهب برفقه خاطر بلابل ليرى هذه السيدة، ولكن الآن عليه الاحتفال بعوده حبيبته المظلومة.

★★★

– لم اشعر بحبك مثلما شعرت الليلة.

– هل افتقدنى إلى هذا الحد؟

– بالطبع افتقدك كثيرا ولكن كيف عرفت؟

obeikan.com

– المرأة تملك ترمومترا خطيرا لاتعلم أنت وامثالك من الرجال مدى دقته

أو هكذا يفضح الحب.

– إن للحب أسرارا لايعلمها إلا النساء

– والرجال هم الطرف الآخر فى الحب .

– نعم طرف ولكن طرف لايدرك كل شىء، فنحن الذين فى أيدينا السر، وويل لرجل خدع امرأة.

– يا ساتر.

obeikan.com

١٦

لم ينم حتى الصباح الباكر تناول فنجانا من القهوة، وخرج مسرعا إلى السيارة، نحى سالم السائق وجعل خاطر بلابل يقود السيارة واتجها من فورهما إلى منزل أكمل، عند الباب اتفق مع خاطر كما أملى عليه طوال الطريق ماذا سيقول؛ فقد اقتبس من المعلومات التى أتاه بها اللواء صالح، إنه قضى عاما ونصفا فى المملكة العربية السعودية، وقد اتفق مع بلابل أن يومىء له برأسه إذا تأكد أنها هى المرأة التى كانت بصحبته.

فتحت لهم الباب خادمة صغيرة السن، سألوها عن الأستاذ أكمل، فغابت عن ناظريهما فجأة و هرعت بسرعة إلى الداخل، وما هى إلا نصف دقيقة حتى أتتهما لبنى تتلفح بروب لم تكمل اغلاق أزراره وتفعل اثناء قدومها:

— أفندم؟

– نأسف للإزعاج يا مدام، نحن زملاء الأستاذ أكمل فى السعودية، أليس موجودا؟!

دعتهما إلى الدخول، كانت شقة أنيقة فسيحة مفروشة بفرش راقٍ، أشارت إليهما صوب أحد الصالونات، نظر بهجت إلى خاطر الذى لم يحرك رأسه البتة، عاجلتهما قبل أن يجلسا:

– ألم تعرفا ؟

بهجت محاولا إبداء الانزعاج :

– ماذا؟

– لقد اختفى أكمل منذ ما يقرب من أسبوع ولا نعرف عنه شيئا البتة.

– كيف هذا؟! ألم تسألى معارفه.

قاطعته :

– سألت، ما خلتش وابلغت البوليس دون جدوى بل إن إحدى الجارات أخبرتنى أن البوليس هو من أخذه من البيت، ولما سألت فى القسم أنكروا ذلك، بل إن أحد معارف

obeikan.com

أبـى و يعمـل لـواء فـى وزارة الداخليـة أخـذ بياناتـه وأكـد لى أنـه لم يقبـض عليـه مـن أى جهـة مـن الجهـات الأمنيـة.

– اطمئنى يا هانم اطمئنى سيعود إن شاء الله.

قالهـا ونظـر إلى خاطـر دون جـدوى فلـم يبـدى الإشـارة المتفـق عليهـا، فبادرتـه لبنـى بأمـل :

– وكيف تتأكد من عودته هل تعرف شيئا؟

– بـل الأمـل كبـير فـى الله، وهـذا مـا نأملـه جميعـا، كنـا نريـد أن نلتقـى فـى ظـروف أفضـل ولكـن علينـا أن نسـتأذن الآن.

قالهـا عندمـا دخلـت الخادمـة الصغـيرة تحمـل صينيـة بهـا فنجانـان مـن الشـاى فعاجلهـا قبـل أن تتحـدث:

– سـامحينا يـا هـانم سـوف نتناولهـا ان شـاء الله بعـد عـودة أكمـل.

على السلم كان بهجت على وشك الانفجار فهتف بخاطر :

– جرى لك إيه ياسى قطران هى؟

– هى.

– ولماذا لم تهز رأسك كما اتفقنا؟!

– كنت أدقق النظر فعندما رأيتها فى المرة الأولى، كانت متأنقة عن ذلك وتسريحة شعرها مختلفة، ولكن الملامح تبدو هى.

– تبدو ؟

– لا إنها هى بالتأكيد لقد تأكدت عند مغادرتنا.

– وما الذى أكد لك؟!

– الوحمة التى فى رقبتها هى التى أكدت لى، فقد لاحظتها عندما كنا نتبعهما.

– هل اقتربت منها إلى هذا الحد؟

– نعم عند باب الفندق عندما كانا ينتظران السايس لإحضار سياراتهما مرا من أمامى ولاحظت الوحمة التى فى رقبتها.

– عليك أن تعود إلى المنزل الآن.

– ألن أصحب سعادتك؟

obeikan.com

– لا .

– حاضر ياافندم.

انطلق بهجت يقود السيارة بنفسه مخترقا شوارع المنيل إلى كوبرى الجامعة، اتصل بسعيد الدقاق على التليفون المحمول :

– أريد أن أقابلك على الفور، أوكى سوف أمر عليك.

أمام فندق النبيلة بحى المهندسين توقف بهجت غازى منتظرا حتى أتاه سعيد الدقاق بأناقته المعهودة وسيجارة الكوبى المميز به، استقل السيارة بجانبه متسائلا ببعض الضيق :

– ألن تنزل لنتناول فنجانين من القهوة.

جاوبه بهجت أثناء تحركه بالسيارة متجاهلا أحد الشحاذين الذى كان يكاد يلتصق بنافذة السيارة مادا إليه يده :

– ليس هناك وقت الرجل مر عليه ثمانية أيام حتى الآن، ربما يكون قد مات، يجب إنقاذه فى أسرع وقت.

– عن أى رجل تتحدث؟

– عن أكمل.

– من هو أكمل أنا؟ لا أعرف أحد بهذا الاسم.

– الرجل الذى تركناه فى المنجم.

– وماذا تريد الآن؟

– أريد أن أنقذه كما قلت لك.

– وأنا قلت لك أيضًا إن سعيد الدقاق لا يعود إلى مكان نفذ فيه عملية مرة أخرى ألا تتذكر ذلك الحديث؟!

– أتذكر، وأنت ألا تتذكر أننى قلت لك سابقا دع قواعدك جانبا.

– يا باشا إن قواعدى هى أمنى فكيف أدعها، ومن أجل ماذا؟

– من أجل المال، سأدفع لك ضعف ما أخذته فى العملية الأولى؟

– وماذا عن عملية المطار؟

– عملية المطار التى فشلت.

– ولكنى فقدت رجلين وسيارتين.

obeikan.com

– هذا خطأكم.

ثم استرسل لائما :

– قل لى بالله عليك كيف يتغلب سائق تاكسى على رجالك المحترفين؟!

– الخطأ وارد وخير. إن الأمور لم تتفاقم أكثر من ذلك، و كما قلت لك قبلا لست محظوظا معهن إنهن مثل القطط ولكنك لم تصدقنى.

– وماذا تريد.

– أريد تكلفة العملية فقط.

– متفقين.

– وماذا تريد أنت الآن؟

– أريد أن تأتى معى لإنقاذ الرجل.

– ولماذا؟

– لقد جدت أمور.

openkan.com

– بهجت باشا، هذا لايجوز، إن اللعب معك خطر، بهذه الطريقة فانت تغير مواقفك سريعا.

– هذا لا يحدث أبدا فأنا لا أغير مواقفى، ولكن هذه المرة حدث خطأ غير مقصود، وما أطلبه منك ليس كثيرا، ولا يوجد به أى مخاطرة، سنذهب فقط للحاق بالرجل قبل موته.

– يا باشا أنا لا أخاف المخاطر، ولكن فقط أتساءل: لماذا تفعل ذلك؟!

– اكتشفت أننى ظلمته.

– وماذا؟ وما المشكلة؟

– أنا لا أريد ظلم أحد كما أخبرتك هذا مبدئى

سعيد بتأفف :

– حسنا.

كانت السيارة قد خلصت إلى طريق الصعيد منطلقة بسرعة كبيرة فى طريقها إلى مدينة سوهاج.

الجميع يفرحون بالصعود إلى القمة، وهو يسعد بالهبوط إلى القاع، أخيرا أصبح فى قاع البئر بعد معاناة كبيرة فى التنقل والتشبث فى الحجارة البارزة والتى بدأت تقل كلما هبط إلى أسفل، وكان رائده الشعلة الصغيرة التى ألقى بها، فكلما نظر إليها خيل إليه انه اقترب فيتحفز وتقوى عزيمته رغم قوته التى تفلتت منه كثيرا، وفقد العزم الذى يمكنه من التشبث بالحجارة التى كرهها، حتى أنه فكر مرات من كثرة التعب أن يقفز المسافة الباقية، وكان يتماسك فى آخر اللحظات حتى اقترب من القاع أخيرا فألقى بنفسه على الأرض واستلقى من التعب ونام نوما عميقا، أعمق من البئر التى يرقد فى قاعها.

امتص رحيق سيجاره الكوبى الذى أشعل صدره ثم ألقى به من النافذة بشبه عصبية قائلا :

— بهجت باشا، ألا نتوقف لتناول شىء لقد استيقظت ونزلت إليك دون تناول أى شىء.

— ياه هذا من ساعات قليلة! فما بالك بالرجل الذى أمضى ثمانية أيام على حالك هذا.

— طيب القلب انت ولكنك نسيت أنه صنيعتك.

– نعم أخطأت وأصوب الخطأ الآن.

– ولا تنس أنك تركت له زاداً.

– إن ماتركته له لن يكفيه عشرة أيام كما خططت، فربما استهلكه فى ثلاثة أيام أو خمسة، ولا أتمنى ذلك وإلا سنجده ميتا، تعرف أن فرصة إنقاذ هذا الرجل ضئيلة جدا، إن كان قد أتى على زاده فى خمسة أيام، فإنه قطعا على مشارف الهلاك.

– إننى أنا الذى على مشارف الهلاك، من فضلك توقف عند اقرب استراحة لأتناول شيئا.

– لك ماتريد ولكن ليس أكثر من عشرة دقائق.

– متفقان.

١٧

(سوهاج الجبل الغربى الساعة ٥٥ : ١مساء):

توقفت السيارة أمام باب المنجم المغلق بالألواح الخشبية ونزلا كلاهما بعد أن خلصا الباب من الأخشاب، حملا كشافين أخرجهما بهجت من حقيبة سيارته، ودلفا إلى الداخل ثم سارا داخل الممرات الطويلة حتى وصلا إلى الباب الحديدى المصمت.

أخرج بهجت سلسلة مفاتيحه وتخير منهما مفتاحين فتح بهما الكالونين اللذين يغلقان الباب، ومنه إلى الحجرة الفسيحة، حجرة السجن التى تركا فيها أكمل مقيدا فى الأغلال، وجها كشفاتهما من خلال القضبان فهالهما عدم وجوده، فهتف سعيد: – لقد هرب!!

فبادره بهجت غير واثق:

– كيف يهرب وهذه القضبان قائمة؟

obeikan.com

– إذن كيف اختفى هكذا؟

اقترب بهجت من القضبان ثم أخرج مفتاحا آخر ليعالج أقفاله فلم ينتبه إلى سعيد الذى بدأ التسلل إلى الممر المؤدى إلى قلب المنجم، التفت بهجت فلم يجد سعيد وراءه وقد كان منذ قليل يتكأكأ حوله، فترك الباب وتبعه مهرولا هاتفا :

– إلى أين أنت ذاهب؟ هل تتصور أنه خرج من بين هذه القضبان؟

فلم يتلقَ ردا منه حتى سمعه يصرخ عليه :

– إنه هنا لقد وجدته.

فوقف بهجت متأففا، ثم أكمل مسيره بخطوات متثاقلة حتى وصل إلى المكان الذى توقف فيه سعيد وأمامه يرقد هيكل عظمى، نظر إليه سعيد موجها كشافه إلى وجهه وسأله مندهشا :

– كيف تحول إلى هيكل عظمى فى هذا الوقت القصير ؟

فأجابه بهجت مستاءً : إنه ليس هو.

– ليس هو، ومن هذا إذن ؟

– إنه ديلور روسينى.

لم ينبت سعيد ببنت شفة ثم خرجا متتابعين عائدين إلى حجرة السجن.

فتح بهجت الباب ذا القضبان واقترب من المكان الذى كان يرقد فيه أكمل فشاهد جزءًا من سلسلة الأصفاد التى كانت مكبلة لقدميه تمر إلى باطن الأرض من خلال شق صغير، فنظر إلى سعيد الذى قال له متراجعا إلى الخلف :

– ما هذا هل انشقت الأرض وابتلعته ؟

– يبدو أنه هبط من خلال هذا الشق.

– وكيف هذا ؟

لم يرد بهجت على السؤال الأخير وأمسك السلسلة يجذبها بقوة فتحركت الصخرة قليلا اندهش سعيد قائلا :

– آه هكذا إذن.

– هيا اجذبها معى.

فامسك سعيد بالسلسلة وجذباها معًا حتى تزحزحت إلى آخرها فوجدا الفتحة مازالت صغيرة نظرا إلى بعضهما البعض وتساءل سعيد:

- وهل من الممكن أن يدخل من هذا الجزء الصغير؟! يبدو أنه فقد الكثير من وزنه، لاتنس أنه لم يكن ثمينا أصلا، وليس له مخرج آخر، ولكن فعلا الفتحة صغيرة جدا لن تسعنا علينا محاولة توسعتها.

سعيد بتحدٍ:

- ولماذا نفعل؟

- للبحث عنه واكتشاف باقى المنجم.

- عن أى منجم يا بهجت باشا تتحدث؟ وأى معادن تلك التى كنت تنقب عنها أو ليس روسينى هذا هو عالم المصريات الإيطالى الذى اختفى فى مصر منذ أكثر من عام، لقد تذكرت هذه الحادثة الآن، تريد أن تدخل علىَّ بعد ذلك أنك كنت تنقب عن المعادن..

أجابه بهجت بتحدٍ:

obeikan.com

– لا كنت أنقب عن الآثار بعدما أكد لى هذا اللص أن أبحاثه تؤكد وجود معبد مدفون فى باطن الجبل يدعى بيت ملايين السنين استنزف من أجله أموالا طائلة، يبدو أن أبحاثه كانت صحيحة، وقد يقودنا هذا المنفذ إلى بيت ملايين السنين هذا.

استرسل سعيد بلهجة يشوبها بعض التشفى:

– ويبدو أنك قتلت هذا المسكين ظلما.

ثم أردف بلهجة ماكرة :

– الحمد لله أننى لم أقم لك بهذه العملية، وإلا تلوثت يداى بدم هذا الرجل البرىء.

«إنها أحد الألغاز التى نعيشها دوما ولا نعرف أسرارها وأسبابها، كم من حرائق اندلعت وحوادث وقعت وأناس اختفت دون الوقوف على الحقيقة، فوراء كل حادث سر، قد يبقى كذلك، وقد ينكشف وقد تضيف إليه السنون مزيدا من الأساطير أو الحكايات الوهمية».

تأفف بهجت من ملاحظاته وبدا الاستياء على وجهه وعاجله :

– وبعد؟!

– لا شيء، ولكن يبدو أنك قد وجدت كنزك الذى كنت تبحث عنه، واستنزفت من أجله المال، فماذا أنت فاعل الآن؟!

– وهل تعد هذا سؤالا ؟ سأستخرجه بالطبع.

– أنت تريد حفنة من الرجال لذلك، وليس أى رجال، بل رجال بمواصفات خاصة.

– كرجالك مثلا؟!

– إن أردت أنا رهن إشارتك.

– بل أنت وحدك تكفينى.

نظرا إلى بعضهما البعض صامتين، إنهما رجلان مغامران بطبعهما يحبان المغامرة ويعشقان الخطر المحسوب من جهتهما وتقديرهما الآن يقول لهما: افعلا، مجازفان وإلا ما وصلا إلى مكانتهما كل فى مجاله هى طبيعتهما والكهف المثقوب يحرك مشاعر الاستكشاف لديهما ويلهب حماسهما».

تحدث سعيد بعد فترة صمت طويلة:

obeikan.com

– إنها هكذا تعد عملية جديدة يا بهجت باشا.

– نعم بالطبع وأنا لا أبخس أحدا حقه، لك عشرة بالمائة من محتويات هذا المعبد.

– بل اجعلها أربعين يا باشا.

– هذا لايجوز وأنت تعلم أنه لايعنينى دورك كثيرا ولكنى أقدر أنك جزء من الاكتشاف.

– إذن فلنجعلها ثلاثين بالمائة.

– اسمع سأعطيك عشرين بالمائة من المحتويات وسأخصم تكاليف التصريف إن لم يكن عندك مشترون.

– يبدو أننى الذى سوف يتقاضى تكاليف التصريف.

– تعنى أن لديك مشترين.

– من كل نوع يا باشا أتريد؟

– لا، فليصرف كل حاجته بمعرفته.

– أوافق كما أوافق على العشرين بالمائة أنا معك إلى النهاية.

obeikan.com

– لا ليس النهاية، أنت رفيقى حتى ننتهى من هذا فقط.

– وماذا عن الرجل الذى قصدت إنقاذه؟

– إذا وجدناه حيا سنخرجه بالطبع.

التقت عيناهما فضحكا بصوت مسموع.

– يلزمنا بعض الأدوات، كشافات أقوى من هذه وباقى الأدوات، فيجب علينا عمل كسر فى هذا الجزء من الحافة وإن كنت أشك أنها ستجدى مع هذه الأرض الصخرية، فنحن نحتاج الكسر فى الجزء الثابت.

– إن الحافة جزء ضعيف وبإمكاننا أن نشذب حوافه على الأقل وإلا سنحتاج ديناميت، لا أفضل ذلك حتى لانحدث انفجارا يلفت إلينا الأنظار فهذه المنطقة بها لصوص منقبون عن الآثار.

– لصوص!

– نعم.

ابتاعوا ما احتاجوا إليه من وسط المدينة، وعادوا مرة أخرى يحدوهم أمل فى الحصول على كنوز المعبد المدفون، أدخلا السيارة إلى ممرات المنجم حتى تختفى عن الأنظار وبدأوا مباشرة أعمالهم حتى تمكنا من توسعة الفتحة ثم نزلا من خلالها لايحملون معهم إلا الكشافات وشنطه بلاستيكية بها زجاجات مياه معدنية وبعض العصائر.

تمكنا بعد معاناة لا تضاهى بمعاناة أكمل من النزول عبر الصخرة الملساء بواسطة الحبل الذى ربطاه فى القضبان الحديدية حتى وصلا إلى الأرض، سلطا كشافيهما إلى المكان منبهرين باكتشافهما الجديد.

حدثه سعيد بصوت قلق :

— مبهر، ولكن أين تلك الكنوز ؟ هل هذه التماثيل وتلك اللوحات على الجدران هى مانبحث عنه ؟

— إننا فى أول الطريق.

— أى طريق؟ أين نحن بالله عليك ؟ أتدرى كم يبلغ طول هذه المسافة التى هبطنا إليها؟ لقد أحضرنا خمسين مترا من الحبال، انظر كم تبقى منها، لم يتبقَ منها إلا أمتار

قليلة، إنها مسافة بعيدة جدا، نحن فى باطن الأرض بل تحت سطحها، مؤكد أن باقى الجبل، فى الأسفل، أكبر بكثير من الجزء العلوى، وأى مدينة هذه التى أصبحنا فيها؟! إنه ليس معبدا يا سيدى، بل مدينة كبيرة وكيف هبط الرجل كل هذه المسافة ؟ إن كان فعل فكان يجب أن نجد جثته هنا حيث نقف!

– لا بأس علينا أن نواصل البحث فربما هبط حيا، ولكن ما يشغلنى حقا كيف تخلص من قيوده؟

توغلا فى الطرقات تؤنسهم الكشافات عالية الإضاءة حتى وصلا إلى صفوف من التماثيل، وقف سعيد مشدوها:

– ما هذا؟! ومن هذا الفرعون الآخر؟! إن هذا رمسيس بلا شك، أما هذا الآخر فلا أعرفه.

– إنه أبوه سيتى الأول. إن المعبد الذى يقع فى مدينه البلينة بدأ بناءه سيتى الأول ثم أكمله ابنه رمسيس الثانى، هذه المعلومات كان يدلى إلىَّ بها روسينى.

مصمص سعيد شفتيه بسخرية قائلا :

– اللّه يرحمه.

ضاق بهجت ذرعا بملاحظاته فعاجله :

– إذا لم تنتهِ من تلميحاتك هذه سأعتبر الاتفاق الذى بيننا لاغيا فهمت.

– لاغى ازاى يا باشا لقد أصبحنا فى قلب الحدث.

قالها سعيد ثم استدرك ناظرا بريبة إلى بهجت من خلف كشافه ووجهه فى الظلام.

لم يجد أكمل إلا جحرا ضيقا أسفل البئر للمرور فيه، سيضطر أن ينام داخله مادا شعلته أمامه على الأرض زاحفا خلفها، سرت البرودة فى كل جسده وأصبحت الحركة له قاتلة، وهن العزم منه وأصبح على مشارف الموت، قد كان يحدوه أمل بعيد، أصبح يخفت مع مرور الوقت كما تخفت روحه، بدأ يفقد التركيز أيضًا فما عاد يدرى أحيانا أين هو.

بعد وقت طويل من الزحف داخل الممر كفأر مصاب بسم زعاف وصل أخيرا إلى نهايته فخرج من خلال فتحة صغيرة جدا ليجد نفسه فى مكان جديد عبارة عن طريق معرج لم

يعد قادرا على الحركه فغفا بعض الوقت، وكان كلما غفا مغشيا عليه تمتم بالشهادة فى كل مرة علها تكون الأخيرة فيفيق بعد قليل ليجد العدم من جديد.

الهيكل العظمى الذى كان يبغيه هذا القاتل لن يجده فى المكان الذى أسره به، فقد تحرك كثيرا قبل أن يفقد اللحم والشحم، سر لهذا الخاطر، فأصبح لا يبحث عن مخرج لتأكده بعدم وجوده فشغله الشاغل الآن البحث عن مكان ملائم لجدثه، هل يضعه هنا؟ أم هناك؟

وصل إلى باب دخل منه فوجد طريقا أيمن توغل فيه بصعوبة حتى انتهى فوجد طريقا آخر أيسر عندما اجتازه وصل إلى ممر متسع، سار فى الممر المتسع تحده أعمدة منتفخة، قاعدتها تشبه قرص الجبن الرومى على يمناه وجدار برسومات فرعونية على يساره وشعلة خافتة فى يده لايكاد ينبعث منها ضوء، ظل الممر يضيق تدريجيا ليتلقفه ممر جديد أضيق من الذى تركه حتى انتهى إلى ممر يسع جسده بالكاد وصل إلى نهايته التى كانت جدار مسدود.

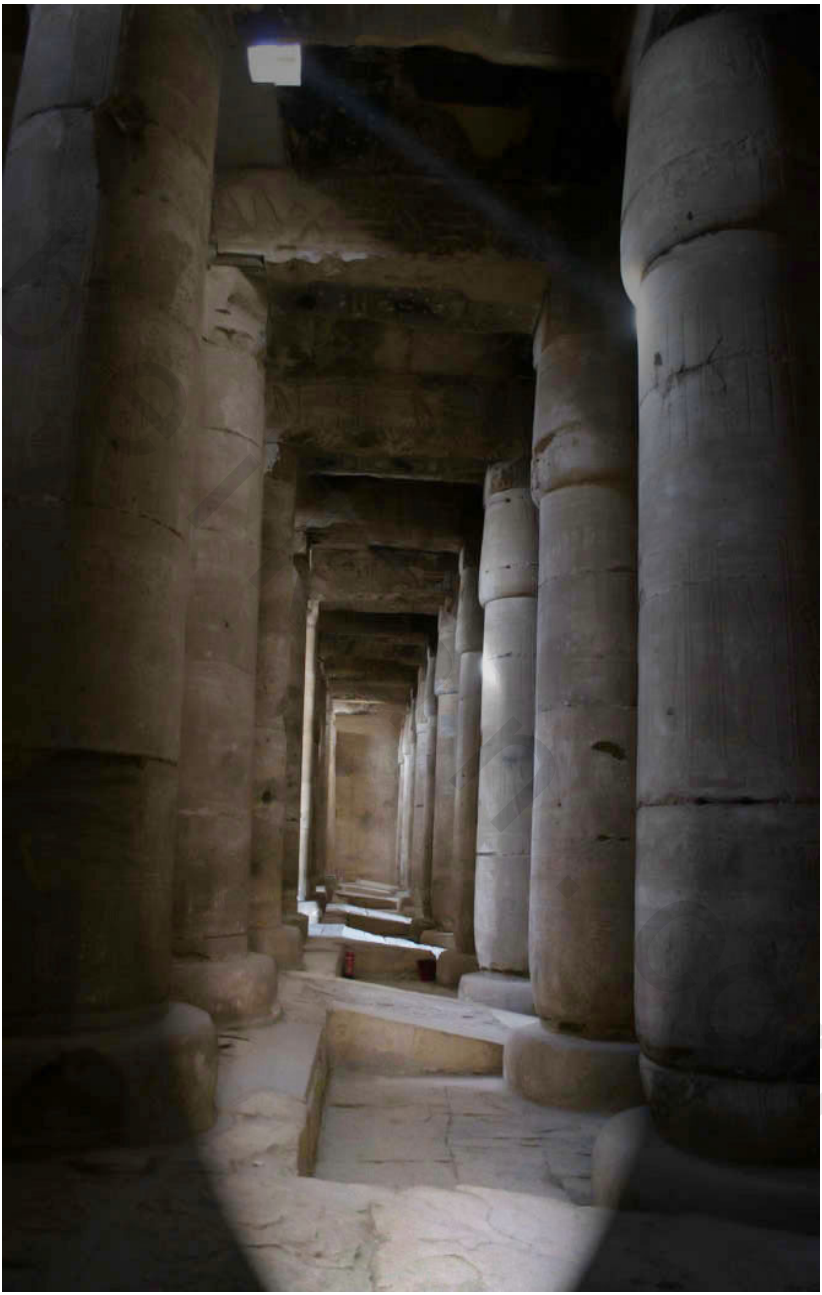

١٨

أدرك أن هنا النهاية، هنا المكان الملائم لهذا الحدث المتحرك، ولكن خاب ظنه عندما اكتشف فتحة ضيقة فى الجدار قريبة من الأرض تقود إلى عدد من السلالم الصاعدة ما إن صعدها حتى وجد نفسه فى بهو كبير، ما إن اقترب حتى اكتشف أنها الحجرة السفلية ذات الأسطوانات المهلكة التى كاد أن يسقط فيها، وأنقذته أصفاد يديه عندما تعلق بهما.

أبطأ خطواته الثقيلة أصلا وجثا على ركبتيه بعيدا عن الأسطوانات ونظر أعلاها حيث البلاطة الرخامية الضخمة التى كادت أن تودى بحياته وتقذفه داخل هذه المفرمة.

★★★

obeikan.com

ارتاب كل منهما فى الآخر، خاف سعيد إن أدار لبهجت ظهره أن يطعنه من الخلف، فقد وجده إنسانا متهورا سريع الخطأ يتخذ قراراته بسرعة ثم يستدرك دائما بعد فوات الأوان، أوجس منه خيفة، فهو قاتل ويفعلها، وبهجت أيضًا احترز من أن يطعنه سعيد من الخلف، فأوجس منه خيفة، فهو قاتل محترف ويفعلها، وإن كان كل منهما لم يقتل بيده، سارا متجاورين لا يجاوز أحدهما الآخر دون أن يتفقا على ذلك، ولكن كل منهما لايريد أن يتجاوز الآخر، وكل منهما مطمئن إلى ذلك الوضع متحفزين لأى حركة غير طبيعية من بعضهما البعض، ولسان حال كل منهما يردد نفس الكلمات: إن هم أن يطعننى دافعت عن نفسى وعاجلته أنا أولا.

أخيرا وقفا بين العامودين الشاهقين كقزمين يشاهدان القاعة الكبرى، نظرا كل منهما إلى الآخر دهشا ثم تقدما متجاورين يحدوهما أمل العثور على كنوز القصر المفقود وتداعب مخيلتهما أطماع الأموال والكنوز خطوات يخطوانها إلى المصير المحتوم إلى الفخ المنصوب إلى البلاطة القلابة.

مازال أكمل جاثيا على ركبتيه بعد أن أفاق من غيبوبة جديدة منذ قليل، رفع يده إلى السماء داعيا ربه راجيا النجاة

بعد أن أعيته الطرق وسدت فى وجهه السبل، وفى لحظة وجد أشلاء من الرجال تهبط إلى المفرمة فبمجرد أن تقلبت البلاطة حتى تحركت الأسطوانتان بسيوفهما البتارة تقطعان الصيد الجديد إربا وتصدران أصواتهما المزعجة شارختين الهدوء المخيم على المكان ومحيلتاه إلى جلبة عارمة فى لحظة، قطع الهدوء بالضجيج والظلمة بأنوار متناثرة من الكشافات المبهرة التى كانا يحملناها حتى أنهتا مهمتهما فعادتا إلى وضعهما الأصلى وكأنهما لم يفعلا شيئا، حدث كل شىء بسرعة وعاد الهدوء والخفوت بعدما أظلمت الكشافات وانقطع ضوؤها.

وحان وقت اللقاء الثانى بين أكمل حسين الريس وبهجت سليمان غازى، ولكنه لقاء مختلف عن اللقاء الأول، فلم يكن بهجت هذه المرة قطعة واحدة ولكن تناثر إلى أشلاء متناثرة، لفظ أنفاسه وهو ينظر إلى أكمل قائلا كلمتين فقط:

— سامحنى.. شاهيناز..

أما سعيد الدقاق فقد نظر إلى رجله المعلقة أعلى الاسطوانة التى بترتها فتعلقت بها قائلا:

– كل واحد متعلق من عرقوبه إلا سعيد الدقاق ماتعلقش من عرقوبه.

ثم أسلم بعدها الروح.

اختلطت الدماء بالماء والعصير وانتشرت الفوضى والشظايا من زجاج ولحم بقايا من كل شيء.. لم يكن أكمل فى كامل وعيه، لم يبق شيء سليم من هذه المفرمة إلا زجاجتين من المياه وعلبتين من العصير، زحف إلى زجاجة الماء غير مصدق تناولها وتجرع منها واستحلبها استحلابا ثم تركها قبل أن يأتى عليها تماما، وأمسك علبة عصير كان فى حاجة إلى سكريات؛ فقد فقد جسمه الكثير من الطاقة، ردت إليه روحه، تناول علبة عصير أخرى وتجرع ما بها عن آخرها ثم نام من جديد بجوار أشلاء الجثث المنثورة، أكمل حسين الريس الذى كان يخاف من خياله ينام بجوار جثتين مقطعتين.

١٩

استيقظ بعد ساعتين بحال أفضل تناول جرعة ماء ثم قام محاولا استعادة ذاكرته وتركيزه، اتجه إلى أحد الكشافات حاول معالجته، وما إن مسه حتى أصدر ضوءه العالى من جديد رغم الشرخ الذى أصاب زجاجه، توجه إلى الأجساد المسجاة يفحصها وجوه لا يعرفها، وإن كان لا ينسى وجه بهجت قط عندما رأه أول مرة قبل إلقائه مكبلا فى سجنه المخيف.

نظر إلى وجهه مرة أخرى موجها نور الكشاف إليه متسائلا:

– ماذا اقترفت حتى تفعل بى مافعلت؟! إننى حتى لا أعرفك.

مد يده إلى جيوبه أخرج منها حافظة مهلهلة وبقايا موبيل محطم وقرأ اسمه بهجت سليمان غازى ترى من يكون بهجت غازى هذا ؟ بعد أن بلغت به الحيرة مبلغا وهو يحاول تذكر ذلك الاسم دون جدوى، توجه إلى حيث يرقد الجزء الأكبر

من جسد سعيد الدقاق، تفحص جيوبه وأخرج حافظته، إنه أيضًا غير معروف لديه، وجد فى محتويات جيوبه سيجارا، أوه كم يشتاق إلى التدخين غير أنه لا يدرى أيستطيع فعل ذلك فى حالته الراهنة، دس جميع المحتويات فى جيبه وسار يستكشف الحجرة بعيون أخرى واعية ومدركة وهو يحمل إضاءة كافية تجعله يرصد كل ما حوله بدقة، انتقل من حجرة الموت إلى حجرة قاعة أكبر منها من خلال باب ضخم لم يظهر إلا عندما اقترب منه لبعده الكبير حيث يقع فى آخر القاعة الفسيحة، ولعدم وقوعه فى مجال الضوء أيضًا.

«لا يعلم أكمل ان القاعة التى دخلها هى مقصورة قدس الأقداس وهى المقصورة الرئيسية ويرتكز سقفها على أربعة وعشرين عاموداً. والأعمدة من أسفل على شكل حزم البردى، أما تيجانها فعلى هيئة زهرة لم تتفتح بعد وبها أعمدة مربعة وحوائط رُسمت عليها بالحفر بعض وقائع «رمسيس الثانى» الحربية، وانتصاراته. كذلك كُتب عليها بعض النقوش ويوجد فى القاعة سبعة ممرات تتصل بالممرات الأخرى التى تماثلها وتنقسم الأعمدة إلى صفين، كل صف به اثنا عشر عاموداً. وكل صف ينقسم إلى ست مجموعات، وفى كل مجموعة عامودان متقاربان، ثم يوجد ممر متسع قليلاً، ثم يوجد عامودان متقاربان

آخران، فى قاعة الأعمدة الثانية، وسقفها محمول على ستة وثلاثين عموداً.. انقسمت إلى ثلاثة صفوف، فى كل صف اثنا عشر عاموداً. ومثلها مثل القاعة الأخرى، تتكون الصفوف من مجموعات من الأعمدة، وتتألف كل مجموعة من عامودين. وبذلك يوجد بينهما سبعة ممرات كما هو الحال فى القاعة الأولى. وتتصل الممرات السبعة ببعضها فى كل من القاعتين، وتنتهى بسبعة محاريب مقدسة، وضعت فيها تماثيل الآلهة و الملك «سيتى الأول». وهى نقوش بديعة جداً، ومعظم الموضوعات التى تتحدث عنها تُمثل الملك سيتى مع الآلهة العظمى لمصر، بالرغم من أن المعبد قد أُنشئ أصلاً تكريماً للإله «أوزيريس».

لم يجد أبدع من هذا المكان طوال رحلته داخل هذا المجهول، وقف مشدوها فى منتصف القاعة أشعل السيجار الذى أخذه من جيب سعيد الدقاق وما إن سحب أول نفس حتى شعر باختفاء كل شىء من حوله.

فى حجرة قدس الأقداس اختفى الزمن والمكان، وأصبح وجوده يضاهى العدم، فلا للوجود وجود ولكن للعدم وجودا، وقع على الأرض مغشيا عليه.

٢٠

حاولت شاهيناز بكل الطرق عدم إلقاء نفسها فى خضم بحور القلق التى بدأت تزحف هى إليها حاولت التماسك وأرجأت تفجير الأمر بتسرع ولكن لم يجّد فى الأمر شىء غير القلق المستمر، قد أغلق تليفونه واختفى وباءت محاولات الاتصال به كلها بالفشل، استدعت فى النهاية خاطر بلابل على عجل سألته :

– ألم تكن أنت آخر من صاحبه؟! أين ذهبتم وأين تركك ؟

تجاهل بلابل بلباقة لم تفتها سؤالها الأول وأجاب عن الثانى :

– لقد تركنى فى المنيل بعدما قاد السيارة بنفسه، وقد أمرنى أن أعود بمفردى إلى المنزل.

فعادت تسأله بريبة :

– وإلى أين كنتما متوجهان؟!

لم يجبها حرصا على سرية أمور سيده، مما زاد ارتيابها فأقنعته بدبلوماسيتها المعهودة :

– اسمع يا خاطر لقد اختفى سيدك وكتمان شيء قد يكون مضرا له لقد اختفى حتى الآن لأكثر من ستة وثلاثون ساعة وإن لم تجبنى بصراحة ربما تسببت فى أذى له.

انتفض بلابل متسائلا :

– أذى؟! من أى نوع يا سيدتى؟

– لا أدرى بالطبع، ولكن الأمر جد خطير، أتدرى أننى تعرضت لمحاولة قتل أثناء عودتى من المطار نجوت منها بأعجوبة، وبالتالى من الممكن أن اختفاء بهجت يكون وراءه نفس الشخص.

– آسف لم اعلم هذا الأمر يا سيدتى.

– لقد علمته الآن، هل ستفصح أم ستظل حافظا للسر الذى قد يودى بحياته وتكون كالدبة التى قتلت صاحبها؟!

– لا يا سيدتى سأخبرك بكل شيء فربما تعرض البك لمحاولة اغتيال مماثلة.

obeikan.com

– إذن تكلم، كلى آذان مصغية.

– منذ أكثر من أسبوع عندما كنا فى اجتماع فندق الفور سيزون أمرنى بهجت بك أن أتبع رجلا وزوجته وأن أخبره بعنوانه وقد نفذت ما طلب منى.

– وماذا فعلت ؟

– تابعتهما حتى منزلهما ثم عدت وأخبرته بعنوانه، ثم حدث أن استدعانى فى الصباح الباكر لليوم التالى لعودة حضرتك من الخارج، وسألنى إن كنت اعرف المرأة التى كانت بصحبة الرجل الذى تابعته فأخبرته أننى لا أعرفها فسألنى: هل لو رأيتها مرة أخرى ستعرفها؟ فأجبته: بنعم. فاصطحبنى إلى المنزل الذى تابعتهما إليه واخبر السيدة كذبا أننا كنا زملاء زوجها بالمملكة العربية السعودية فأخبرتنا أن زوجها مختفى منذ فترة، فوعدها بهجت بك بعودته، عند ذلك سألته السيدة: وكيف ذلك؟ فأخبرها أنه يأمل فقط. وإن كنت شككت فى حينها أن البك وراء اختفاء الرجل، وبعد أن غادرنا تركنى وذهب بمفرده ولم أره من حينها.

أجـرت شـاهيناز عـدة اتصـالات تحدثـت مـع أبيهـا وزيـر الدولـة الأسـبق حديثـا طويـلا قصـت عليـه جـل الأمـر ثـم تحدثـت مـع عمهـا وزيـر البيئـة الحـالى، ثـم تحدثـت مـع أحـد السـفراء المفوضـين بـوزارة الخارجيـة وانتهـى الأمـر باجتماعهـم بمكتـب السـيد اللـواء مديـر الأمـن بمديريـة أمـن القاهـرة للمشـاورة، وقصـت لـه كل مـا عرفـت فقـام بتكليـف فريـق عمـل لمتابعـة الموضـوع، وحرصـوا جميعـا علـى عـدم تسـريب شـىء إلى الصحـف.

أخـبروا أن أحـد الرجلـين والـذى كان بالسـيارة الشـيروكى فـى طريـق المطـار مـازال علـى قيـد الحيـاة بعـد إصابتـه بعـدة إصابـات وبعـض الحـروق وأنـه تم أخـذ أقوالـه بعـد الحـادث، فلـم يـزد عـن اختـلال عجلـه القيـادة فـى يـده ممـا أوقـع الحـادث.

أصـدر مديـر الأمـن أوامـره بإعـادة التحقيـق معـه وعمـل تحريات دقيقـة عنـه وعـن سـائق السـيارة الأخرى.

٢١

أفاق أخيرا تائها ضائعا فى معبد تحت الأرض، تتلقفه الذكريات أحيانا وأحيانا أخرى الهواجس، تهاجمه الأفكار وتضيع منه فى لحظات ويخفت منه العقل حينا مع خفوت الجسد الهزيل، ويعود وينبض من جديد، إنه فى متاهة الآن لايعرف أين الطريق، ولا يدرى أى سبيل يسلك، كثرت الطرق وتفرقت الممرات والتصقت الأعمدة ببعضها البعض وتباعدت ثانيا، هل من منقذ له من هذا الجنون الذى بدأ يزحف حثيثا إلى عقله، قام واقفا يكابد الإعياء، شعر برغبة شديدة تؤرقه، أراد أن يريق الماء، التفت حوله أين يبول وهو فى حجرة قدس الأقداس ويقف أمام عرش الملك، ولمعت الفكرة فى رأسه وتأججت، أى مكان أنسب أن يبول فيه إلا تحت هذا العرش العظيم فليذهب الجميع إلى الجحيم.

أراق ماءه تحت العرش فتدفق فى يسر حتى اختفى.

أين ذهب؟ سار وراء الماء حتى اكتشف تسربه من تحت العرش، لابد من وجود فتحة تحت هذا السرير الضخم، ولكن كيف له أن يزحزحه من مكانه، استجمع قواه وحاول دفع العرش إلى الوراء دون جدوى ثم حاول دفعه من الخلف فلم يفلح أيضًا، وعندما حاول من الجانب الأيسر وجد تحركا طفيفا فتجرع جرعة من زجاجة الماء وتوجه إلى الناحيه اليسرى ثانيا، دفع الكرسى بكل قوته فزحزحه قليلا جدا حتى لاحت له فتحه فى الأرض أسفله أمسك بالكشاف ووجهه إلى المكان الذى أحدثه فشاهد درجات قليلة تحت الأرض، يبدو أن هذا هو المخرج، دفع المقعد بكل ما تبقى له من قوة حتى أصبحت الفتحة تسمح بمروره وجمع حاجياته، حمل الكشاف وهبط حتى وضع قدمه على أول درجة ثم الثانية كانوا خمس درجات فقط، ووجد أسفلهم ممرا طوله مترين ثم خمس درجات أخرى صاعده صعدها فخرج من فتحة عليا إلى حجرة مستطيلة خالية تماما، الضلع الأكبر لها أمامه والضلعان الأصغران يمينه ويساره.

لاباس إن لم يجد شيئا هنا يمكنه الرجوع إلى حجرة قدس الأقداس مرة أخرى، فحص الجدران فلم يجد أبوابا، ثم فجأة وجد اليد الحديدية الغائرة داخل الحائط والتى صادفها قبلا فى أبواب المتاهة، ولكن أى باب ستفتح عند تحريكها، وضع الكشاف الذى يحمله على الأرض وأمسك اليد، وجدها أقوى من سابقتها عندما حاول جذبها بقوة، عادت اليد إلى وضعها السابق دون أن يفتح أى شىء، ظل واقفا مكانه دون حراك، يبدو أنه لافائدة، أخرج السيجار وأشعله، وبعد لحظات وجد الحائط الأمامى كله يتحرك ببطء إلى أعلى ثم فجأة غمر نور الشمس عيونه ووجد سائحة عجوز تقف على الجانب الآخر من الحائط وقد ألجمتها الدهشة، قد شاهدت لتوها حائطا يرفع ليكشف عن إنسان يدخن السيجار فنطقت بصعوبة قائلة:

— إيجبشن؟!

فبادرها أكمل وهو ينفث دخان سيجاره :

— يس ايجبشن.

فوقعت مغشيا عليها، أما أكمل فقد خطا خطوته الأخيرة خارج المعبد المدفون إلى المعبد الخارجى لسيتى الأول بيت ملايين السنين، وقف مستطلعا المكان وهو متيقن هذه المرة أنه خرج أخيرا من هذا القبر المغلق، وماهى إلا لحظات حتى وجد الجدار يهبط مره أخرى ليعود إلى سابق عهده، سار خارجا من المعبد ليجد جماعات متفرقة من السائحين داخل المكان فأخبرهم بوجود سيدة مغشى عليها بالداخل، فهرعوا إليها، أما هو فقد خرج غير مصدق نفسه، خرج إنسانا جديدا يستطيع أن يحارب اليأس والبؤس والتعب، بل والملل أيضًا لقد أصبح محاربا مدربا بعدما اكتسب صفات المحارب المنتصر، وهى ليست بالصفات الهينة.

هيا فلتواجهه الحياة الآن بكل ما فيها.

هو الآن مستعد لها، لن يكل أو يمل سريعا كما كان، بل سيعمل بدأب فى كل عمل يوكل إليه مااستطاع، لن يبخل بعافيته بعد الآن، لقد ولد أكمل جديدا بعد خروجه من هذا الكهف السحيق، خرج قويا صبورا، وللصبر سر رهيب لايمنح إلا للصابرين الأقوياء.

★★★

استقل سيارة إلى مركز البلينة، مسيرة بعيدة جدا تقطعها السيارات فى دقائق قليلة، كم من طرق مثلها سارها فى هذا الجنون الذى كان يقطن به، والذى شعر أكثر من مرة انه لن ينتهى، تكوم فى جزء صغير داخل مقعد السيارة ارتمى وهم أن ينام، ولكن تماسك قليلا حتى بدأ بعد قليل يغفو غفوات قليلة بعدها يفيق حتى وصل إلى مبتغاه إلى قلب المدينة، وأمام أحد المطاعم الكبرى، وقف:

— ها أنت ذا قد جئت وأنا الملك جئت

انتفض داخل المحل يلتقط كل ما تصل إليه يداه ويلتقمه فى فمه ظنوه متسولا فباعدوا بينه وبين مبتغاه، و قدموا أفخر الطعام له بعد تسديد الثمن مقدما، تعب فكاه عند بداية المضغ، فلم يستعملهما منذ أيام طويلة، وما إن ابتلع أول لقمة حتى كاد يغشى عليه، أكل وشرب حتى شبع ثم دخل إلى الحمام واغتسل وابتاع سجائره المفضلة وزجاجة مياه واستقل سيارة إلى القاهرة وأخبر السائق أن لا يوقظه إن نام.

بعد ساعتين استيقظ وتجرع قليلا من الماء قبل أن يشعل سيجارته.

سأل السائق:

— أين نحن الآن؟

— إننا على مشارف مدينة المنيا.

– إذن توقف عند أقرب استراحة.

– حاضر ولكن هل تخبرنى يا سيدى عن هذه الملابس الرثة التى ترتديها.

فأخبره أكمل باسما أنها الموضة الآن، فتعجب السائق الصعيدى وهز رأسه. وبعد عدة دقائق توقف عند إحدى الاستراحات دلف أكمل إليها وقضى حاجته وابتاع بعض الفطائر والمشروبات وعاد إلى السيارة لإكمال الرحلة إلى القاهرة.

obeikan.com

٢٢

امرأتـان لم يلتقيـا قبـلا وإن كانـت فجيعتهمـا تتشـابه كمـا تشـابهت أنفسـهما مـن قبـل، مـاذا فعـلا دون قصـد بزوجيهمـا، نعـم دون قصـد فمـا بالـك بالقاصـدات؟!

كانـت لبنـى وشـاهيناز تتبـادلا الحديـث فـى حضـور أبيهـا الوزيـر الأسـبق فـى شـقة أكمـل بالمنيـل.

سـألت شـاهيناز لبنـى إن كانـت هنـاك صـورة حديثـة لأكمـل، قاطعتهـا لبنـى بـأن رجـال الأمـن سـألوها عـن هـذا وأخـذوا منهـا آخـر صـورة التقطـت لهمـا أثنـاء احتفالهمـا بعيـد زواجهمـا فـى الفـور سـيزون ثـم قامـت وأحضـرت صـورة و ناولتهـا لشـاهيناز التـى مـا إن رأتهـا حتـى صرخـت:

— الآن قـد عرفـت لمـاذا كلـف بهجـت خاطـر بمراقبتكمـا، لقـد ظـن بهجـت اننـى أنـا التـى بصحبـة أكمـل.

openkan.com

لبنى بدهشة عارمة :

– وكيف يظن ذلك؟

– لقد كنت أرتدى نفس الفستان وحتى تسريحة الشعر فى نفس اليوم، وقد أوصلنى بهجت بهذا اللوك إلى المطار، وما إن رآك مع أكمل حتى ظن أننى انتِ.

– إذن لقد قتل زوجى.

– أرجو ألا يكون قد فعل.

انهارت لبنى وأجهشت بالبكاء:

– إذن مات زوجى مات أكمل.

عند ذلك طُرق باب الشقة طرقا عنيفا فهرعت الجارية الصغيرة لتفتح الباب وتوجهت أنظار الجميع إليها مستطلعين الأمر عندما سمعوا صرخات الخادمة:

– استاذ أكمل حمدالله على السلامة.

obeikan.com

طـارت لبنـى إليـه واحتضنتـه ووقفـت شـاهيناز تشـاهدهما مبتسـمة وأبوهـا يقـف متعجبـا ثـم سـأله:

— أين كنت يا ولدى؟

فعاجلته شاهيناز :

— انتظر يا أبى حتى يستريح.

أما لبنى فقد ظلت تتفحصه قائلة:

— ماذا حل بك يا قلبى ماذا حدث لك؟

رأت شـاهيناز اللهفـة والحـب فـى عينـى لبنـى فتبسـمت برقـة، انتبهـت لبنـى إلى وجودهمـا أخيرا،فقالـت لـه الدكتـورة شـاهيناز البقـرى ووالدهـا وزير البيئة الأسـبق، نظر أكمل إلى شـاهيناز قائلا :

— أنت شـاهيناز؟ إن اسمك آخر ما نطق به بهجت قبل ان يموت.

انتفضت شاهيناز:

— مات هل مات بهجت كيف؟

obeikan.com

اكمل محاولا التغلب على أعيائه:

– سأخبركما بكل ماحدث.

★★★

بعد أن انتهى أكمل من سرد قصة اختطافه وإلقائه فى المنجم، قال أبوها موجها حديثه إلى ابنته شاهيناز :

– أرأيت؟! إن بهجت حتما من كان وراء محاوله قتلك.

– «إن من استل سيف البغى مات به»، لقد نال جزاءه ستكمل هذه الحكاية ما استحال على رجال الأمن، سيكون الأمر هينا هكذا لكشف الغموض الذى اكتنف هذه الحوادث. ثم وجهه حديثه إلى لبنى قائلا:

– اسمعى يا ابنتى يجب أن نتجه به إلى المستشفى فى الحال لإجراء فحوصات تطمئننا.

تحدث أكمل محاولا إخفاء إعيائه:

– أنا بخير فاطمئنوا.

قالت لبنى:

– لا يا حبيبى أعتقد أنه من الأفضل أن نجرى بعض الفحوصات، أما الآن فيجب أن تأخذ حماما فمن الضرورى عمل ذلك؟!

– هل رائحتى سيئة جدا؟

– نعم.

اقتربت الخادمة الصغيرة قائلة:

– الرائحة تقرف الكلب.

ضجوا جميعا بالضحك، فقام أكمل وأخرج حافظة سعيد الدقاق وبهجت وناولهما للدكتور بدر الدين والد شاهيناز الذى بدأ يتفحص محتوياتهما، أما أكمل فقد اتجه إلى الحمام بصحبه زوجته بعد أن استأذن منهما، بعد قليل خرج أكمل من الحمام بملابس نظيفة حليق الذقن، نظرت إليه شاهيناز:

– أيوه كده!

obeikan.com

فلم تلحظ عينى لبنى التى نغزتها بنظرة غائرة، أما الدكتور بدر الذى كان قد أجرى بعض المكالمات من تليفونه المحمول فقال موجها حديثه لأكمل:

– ستصل سيارة إسعاف بعد قليل لتقلك إلى المشفى الدولى لإجراء الفحوصات اللازمة.

فى المستشفى الدولى دخل الطبيب إلى الحجرة التى كان يقطن بها أكمل الذى كان يجلس بجواره ضابط وأمين شرطة يكتب أقوال أكمل التى كان يدلى بها إلى الضابط.

قامت لبنى إلى الطبيب متسائلة : إيه الأخبار؟

– الحمد لله كل التحاليل زى الفل.

– ولماذا هذه المحاليل نحن لسنا فى حاجة إليها إذن.

– بل سنستمر قليلا لتعويض بعض المعادن التى فقدها، هناك بعض النقص البسيط، وسيستعيد كامل صحته قريبا إن شاء الله.

★★★

فـى اليـوم التـالى تقابلـت الدكتـورة شـاهيناز مـع لبنـى داخـل حجـرة أكمـل بالمستشـفى، كان يتحدثـان أثنـاء نـوم أكمـل، أخبرتهـا لبنـى أنـه بـدأ يسـتعيد تركيـزه، كمـا أن صحتـه بـدأت فـى التعافـى، وأن قـرار إحضـاره إلى المستشـفى كان قـرارا صائبـا بالفعـل، ثـم وجهـت لهـا الشـكر الجزيـل ووجهـت شـكرا خاصـا لوالدهـا صاحـب الفكـرة.

ابتسمت شاهيناز قائلة :

— لا داعـى لذلـك ولكـن أريـد أن أخـبرك أن هيئـة الآثـار بالاتفـاق مـع وزارة الداخليـة سـتعقد مؤتمـرا صحفيـا ويجـب أن يحضـره أكمـل لسـرد كل الأحـداث.

— إن شاء الله.

سألتها شاهيناز :

— لم أعرف ماذا يعمل أكمل ؟

— إنه لا يعمل الآن ومنذ فتره طويلة.

— لماذا؟

obeikan.com

– هـو لايحـب ذلـك رغـم أن السـيرة الذاتيـة الخاصـة بـه تجعـل الشـركات تتهافـت علـى التعاقـد معـه، لقـد ورد إليـه عرضـا مؤخـرا أثنـاء اختفائـه مـن إحـدى الشـركات الإنجليزيـة، وكـم مـن عـروض كهـذه كان يرفضهـا سـلفا، أمـا الآن فـلا أدرى مـاذا هـو فاعـل.

– وكيف ترد إليه هذه العروض؟

إنـه يرسـل أوراقـه دائمـا إلى الشـركات العالميـة عـن طريـق الانترنـت.

– وهل تريدين بالفعل أن يلتحق بهذه الوظيفة؟

– بالطبع أنا أرغب فى ذلك بشدة.

– إذن اعرضى عليه الأمر وليقرر هو ما يرى.

obeikan.com

٢٣

فى القاعة الرئيسية للاجتماعات بفندق الفور سيزون، نفس القاعة التى شهدت اجتماع وكلاء شركة كتر بيلار عقد مؤتمر صحفى عالمى ضخم حضره مندوبون كثيرون من الصحف الأجنبية يرأس المؤتمر الدكتور سيد فؤاد رئيس هيئة الآثار وعلى يمينه جلست الدكتورة شاهيناز البقرى وبجانبها السيد أكمل حسين الريس، وعلى يساره السيد اللواء مدير أمن القاهرة لإعلان الكشف العظيم الذى اكتشفته مصر وهو معبد بيت ملايين السنين.

تحدث الدكتور سيد قائلا :

– خلال الدولة الحديثة أنشأ سيتي الأول بيت المليون سنة على بعد نحو ١,٥ كيلومتر شرق مقابر الملوك على مساحة ٢٢٠ في ٢٧٣ مترا، وكان مبناه الرئيسي مبنيا من الحجر الجيري على مساحة طولها ١٥٧ مترا، وعرضه ٥٦ مترا،

وبه عدة من الأبهاء المفتوحة والبهوات ذات الأعمدة. تولى ابنه رمسيس الثاني تكملة هذا المعبد الذي يعتبر أكبر بناء في أبيدوس بعد وفاة أبيه، وقام رمسيس الثاني في نفس الوقت ببناء معبده الخاص به في الشمال الغربي من معبد أبيه، ولم نكن نعلم أن المعبد الخارجى هو جزء صغير جدا من المعبد المبنى داخل الجبل والملحق بمدينة مهجورة كان قد اتخذها سيتى الأول مقرا لحكمه حتى تم اكتشاف ذلك بالصدفة البحتة على يد السيد أكمل.

بعدما ذكر ذلك الدكتور سيد فى كلمته المقتضبة التى افتتح بها المؤتمر تم السماح بالأسئلة من قبل المراسلين والصحفيين، فانهالت الأسئلة أغلبها موجه لأكمل الذى سرد تفاصيل ما حدث له داخل معبد بيت ملايين السنين المحفور فى قلب الجبل وقاع الأرض ومعيشته بداخله بدون مأكل ومشرب لمدة ثمانية أيام.

جلست لبنى فى الصف الأول تتابع بشغف زوجها وهو يجيب عن أسئلة الصحفيين بشأن ما واجهه فى المعبد المدفون، أما الأسئلة الخاصة بأهمية الاكتشاف فكانت من نصيب الدكتور سيد، أما الدكتوره شاهيناز فقد حرص الدكتور سيد على توجيه الشكر لها قائلا إنها هى التى جمعت كل

الخيوط ووصلت إلى الحقيقة، وإنها تعرضت لمحاولة اغتيال أثناء ذلك فتم توجيه بعض الأسئلة لها حول محاولة الاغتيال فلم تنسَ ذكر أشرف بنزينة الذى وجدته يشير إليها من بعيد فدعته إلى المنصة لينال تصفيق الحاضرين فقام أشرف بتحيتهم وهو يحاول عدم الترنح، كما انتقلت الكلمة إلى السيد اللواء مدير الأمن الذى أشار إلى تمكن أجهزة الأمن بمساعدة الدكتورة شاهيناز من الكشف عن أخطر عصابة يرأسها المدعو سعيد الدقاق الذى لقى حتفه داخل المعبد كذلك اكتشافهم لجثة روسينى عالم المصريات الإيطالى الذى اختفى فى مصر منذ عدة أشهر، تلقى مدير الأمن عدة أسئلة تطلب التوضيح، وسرد القصة كاملة فبدأ فى الحديث ببعض الاستفاضة.

قامت الدكتورة شاهيناز استعدادا للمغادرة، نظرت شاهيناز إلى أكمل مبتسمة ومدت يدها إليه سلمت عليه قبل أن تغادر ثم همست فى أذنه قائلة: «الحاجة جوة التلاجة» ثم تركته واجما وسارت.

وقف أكمل مشدوها لقد حفرت شاهيناز حفرة عميقة فى ذاكرته، تغلغلت إلى جزء كاد أن يمحى، فقد أطلقت رصاصة رفيعة كالشعرة اخترقت رأسه مباشرة إلى أعمق جزء فى الذاكرة

بعد أن فجرت غلافها الذى حجبها على مدار السنين. هل هذا معقول هل ممكن أن تكون هى؟ كانت هناك بنت سمينة وضخمة يطلق عليها زملاؤه اسم «كامبا» كانت تأتى من كليه سياسة واقتصاد لمصاحبة بعض صديقاتها الطالبات بكلية التجارة الخارجية التى كان يدرس بها أكمل حينذاك، وكانت صديقاتها من زميلاته المقربات، وكانت تشترك معهن فى الرحلات والحفلات التى يقيمونها وكانت لها جملة مشهورة كانت تقولها بسخرية دائما: «الحاجة جوة التلاجة «. كانت كامبا هذه البنت السمينة تحاول التقرب من أكمل دائما بل لمحت له إحدى زميلاته أنها تحبه ولكنه تجاهلها تماما وابتعد عن هذه المجموعة حتى لا يجاريها فى خيالاتها، هل من المعقول أن تتحول كامبا إلى هذه السيدة الجميلة ممشوقة القوام، أمر مدهش حقا ظل واقفا يشاهد ظهرها وهى تبتعد ببطء ثم التفتت مبتسمة مشيرة له بيدها اليسرى قبل أن تختفى تماما عن الأنظار, فألقى نظره إلى لبنى زوجته التى غمزت له بعينيها مبتسمة فبادلها الابتسام متسائلا فى نفسه: ألا تنقطع من حياته هذه السلسلة الطويلة من المفاجآت.

بعد أحد عشر شهرا كان أكمل يتجول فى مدينة لندن بصحبة زوجته لبنى عندما شاهدا إحدى قاعات المزادات فدخلا إليها، كانت القاعة تعرض بعض المقتنيات الفرعونية أخذ يشاهدها مسترجعا رحلته التى كاد أن ينساها فى خضم العمل الذى بدأ يمارسه بجدية منذ وصوله إلى لندن، حتى وقف مدة طويلة أمام إحدى اللوحات الجدارية مندهشا، سألته لبنى: ما بك؟ فأشار إلى اللوحه الجدارية قائلا :

– هذه اللوحة.

– ماذا بها؟

– إنها اللوحة التى رأيتها فى المعبد.

– وما الذى أتى بها إلى هنا؟

لم يجبها وابتسم ابتسامة تحولت إلى ضحكات، فهمت مقصده وهزت رأسها ساخرة.

★★★

obeikan.com

كشفت إحدى وقائع سرقة ونهب الآثار في سوهاج، أن محتويات المعابد والمواقع الأثرية والتي يقترب عددها من ٥٠٠ موقع أثرى غير مسجلة في مركز تسجيل الآثار بوزارة الآثار، الأمر الذي يجعلها عرضة للسرقة والنهب دون حساب، وهناك مستندات ومحاضر رسمية وتحقيقات تمت مع مسئولين عن وقائع سرقة تعرضت لها بعض المعابد والمواقع الأثرية أهمها سرقة رأس تمثال رمسيس الثاني «ولوحة جدارية نادرة للملك سيتي الأول» من معبد أبيدوس بالبلينة حيث تم كشف ذلك أثناء عرضهما للبيع في صالة مزادات لبيع الآثار بلندن ضمن ٣٨ قطعة أثرية أخرى تنتمى للحضارة المصرية القديمة، وتم التحقيق في الواقعة بمحضر رسمي يحمل رقم ٤٩٨٣، إداري البلينة لسنة ٢٠١٤، كما كشفت التحقيقات من خلال شهادة أحد المفتشين أن محتويات المعبد غير مسجلة منذ اكتشافه ولا توجد دفاتر أو مستندات تدل على تواجد تلك القطع أو حتى اختفائها من المعبد، وأضاف المصدران: الأكثر غرابة أن مركز تسجيل الآثار المصرية أفاد في رده إلى النيابة العامة بتاريخ ١٨ ديسمبر ٢٠١٤ أن أعمال التسجيل الموجودة لديهم عن معبد أبيدوس عبارة عن ٩ صور أبيض وأسود فقط، ولا يوجد أى توثيق للمعبد ومحتوياته سواء الثابتة والمنقولة.

obeikan.com